كتاب التوحيد

بقلم الشيخ عبد المجيد الزنداني

بسم ا الرحمن الرحيم

الحمد رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فهذا الكتاب الأول من سلسلة التوحيد ، قد راعيت فيه أن يكون متمشياً مـع أحـوال زماننا ، وحرصت على ضرب الأمثلة ، حتى يتحقق الهدف المنشود الذي طالما حثنا القرآن عليه، في هذا الزمان ، ذلك هو هدف ربط الحقائق الدينية بأدلتها المبثوثة في الكـون كمـا قال تعالى : أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَي حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ صدق ا العظيم ، أو كما قال سبحانه : إِن فِي خَلْقِ السَمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَيْلِ وَالنهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ الذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَرُونَ فِي خَلْقِ السَمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبنَا مَا خَلَقْتَ هَـذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النارِ صدق ا العظيم .

لذلك فقد يجد القارئ بعض حقائق علمية لم يكن قد عرفها من قبل في ميدان العلوم الكونية ، فلا يمنعه ذلك من معرفتها من المراجع الخاصة بها ، أو بواسطة التعاون مع أساتذة هذه العلوم . ومن المفيد جداً للنجاح في دراسة هذا العلم: ضرب الأمثلـة، واسـتخدام وسـائل الإيضاح المختلفة، كما أن بساطة التعبير، ووضوح الفكرة ، وسهولة البرهان ، أمور هامة جداً لتثبيت العقيدة في قلوب الناس، كما أن الانتفاع بما جاء في موضوع الدرس من الآيات القرآنية أمر نافع جداً ، فليس هنا ما يثبت المعنى العقلي كآيات القرآن ، ويستثير أحاسيس الوجدان .

أما أنت أيها المسلم ، فاعلم أن علم التوحيد هذا هو أصل دينك فإذا جهلت به فقد دخلت في نطاق العمي ، الذين يدينون بدين لا دليل لهم عليه ، وإذا فقهت هذا العلم كنت من أهل الدين الثابت الذين انتفعوا بعقولهم .

قال تعالى : أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبكَ الحَق كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنمَـا يَتَـذَكرُ أُوْلُـوا الأَلْبَابِ صدق ا العظيم .

فإذا انتفعت بهذا العلم ، وبغيره من العلوم النافعة فإن عليك أن تعلم أهلك وأصحابك ، فتكون من الدعاة إلى ا الذين قال ا فيهم : وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَـالِحًا وَقَالَ إِنني مِنْ الْمُسْلِمِينَ صدق ا العظيم.

وبهذا أيها المسلمون تكونون مصابيح مضيئة بين أهليكم وأمتكم ينتفع الناس بكم .

اسأل ا أن يجعل العمل خالصاً لوجهه ، وأن يجعله طريقاً موصلاً إلى رضوانه.

المؤلف

الفصل الأول

علم التوحيد

تعريفه :

س : ما هو علم التوحيد؟

ج : هو علم يبحث في إثبات العقائد الدينية بالأدلة اليقينية العقلية والنقلية التي تزيل كل شك ، وهو العلم الذي يكشف باطل الكافرين ، وشبهاتهم ، وأكاذيبهم، وبه تستقر النفوس ، وتطمئن القلوب بالإيمان ، وسمي بعلم التوحيد لأن أهم بحوثه هو: توحيد ا . قال تعالى : أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِكَ الْحَق كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنمَا يَتَذَكرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ [الرعد:١٩] .

مجالات بحث علم التوحيد :

س : ما هي المجالات التي يبحث فيها علم التوحيد؟

ج : يبحث علم التوحيد في عدة مجالات هي :

١. في مجال الإيمان با وتوحيده ، وإخلاص العبادة له دون شريك .

٢. في مجال الإيمان برسل ا ، حملة الهدي الإلهي ، ومعرفة ما يجب لهم كالصدقة والأمانة ، وما لا يجوز في حقهم كالكذب والخيانة ، ومعرفة معجزاتهم وبينات رسالتهم ، وخاصة معجزات وبينات وأدلة رسالة سيدنا محمد صلى ا عليه وآله وسلم .

٣. في مجال الإيمان بالكتب الإلهية التي أنزلها ا هداية لعباده عبر التاريخ البشري الطويل .

٤. في مجال الإيمان بالملائكة وما يقومون به من أعمال ، وصلتهم بنا في الدنيا والآخرة .

٥. في مجال الإيمان باليوم الآخر وما أعد ا فيه من جزاء المؤمنين والكافرين: من نعيم في الجنة وعذاب في النار.

٦. في مجال الإيمان بقدر ا الحكيم ، الذي يسير عليه كل ما في الكون: قال تعالى : آمَنَ الرسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُل آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ [البقرة:٢٨٥] .

ولقد سئل رسول ا صلى ا عليه وآله وسلم عن الإيمان فقال : (أن تؤمن با وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره).

مكانته بين سائر العلوم :

س: وما هي مكانة علم التوحيد بين سائر العلوم؟

ج: شرف كل علم يقدر بشرف موضوعه ، ومجال بحثه ، فإذا كان الطب أشرف من النجارة : فإن ذلك لأن ميدان بحث النجارة : الأخشاب وميدان بحث الطب: الأجسام البشـرية. أمـا شرف علم التوحيد فيستمد من شرف مجالات بحثه ، وهل هناك ما هو أعظـم مـن خـالق الكون؟ وهل هناك من هو أطهر من رسل ا من بني البشر؟ وهل هناك ما هو أهـم مـن معرفة الإنسان بربه وخالقه ؟ والحكمة من وجوده في هذه الدنيا، ولماذا خلقه ا عليهـا؟ وما هو المصير الذي ينتظره بعد موته؟ هذه هي مجالات علم التوحيد وموضوعاته.

وعلم التوحيد هو أصل علوم الإسلام وأفضلها وأهمها على الإطلاق.

فرضيته:

س: وهل تعلمه فرض عين أم فرض كافية؟

ج : علم التوحيد فرض عين على كل مسلم ومسلمة ، بحيث يتوفر الامتنـاع القلبـي لـدى المسلم أنه على الدين الحق، وأما ما زاد على ذلك فهو فرض كفاية ، إذا قام به القليل مـن المسلمين سقط عن الباقي .

قال تعالى : فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ [محمد:١٩] .

القرآن كتاب التوحيد الأكبر:

س: وهل اهتم القرآن بهذا العلم؟

ج : إن الموضوع الأساسي في القرآن هو موضوع علم التوحيد فأنت لا تجد صـفحة فـي كتاب ا تخلو من الدعوة إلى الإيمان با أو برسوله، أو باليوم الآخر، أو بالملائكـة ، أو بالكتب الإلهية السابقة ، أو بالقدر الذي سنه ا لسير هذا الكون. وإن القرآن المكي الـذي نزل بمكة قبل الهجرة لمدة ثلاثة عشر عاماً يكاد يكون كله حول التوحيد وما يتصل به .

اهتمام المسلمين به :

س: وهل اعتنى به المسلمون؟

ج : إن عناية المسلمين بهذا العلم مستمدة من عناية القرآن به ، فقد كان همهم الأكبر هـو : الدعوة إلى دين ا بالحكمة ، والموعظة الحسنة، أي بما يقدمه علم التوحيد مـن أدلـة

وبراهين لتثبيت العقيدة ودعوة الناس للإيمان بها واستمرت عناية المسلمين به مدة طويلة .

إهمال المسلمين لهذا العلم:

س : ما الذي أصاب المسلمين عندما أهملوا التوحيد؟

ج : لما أهمل المسلمون بناء العقيدة الصحيحة بواسطة علم التوحيد الذي يقوم على العلـم واليقين ، بدأ الخلل يتسرب إلى عقائد الكثيرين منهم ، تسرب إلى أعمالهم ، وأخذ الفسـاد في الاتساع حتى سهل على أعدائهم القضاء عليهم واستعمار بلادهم واستذلالهم في أرضهم وديارهم .

الخلاصة

- يقدم علم التوحيد الأدلة العقلية والنقلية على صحة وصدق العقائد الإسلامية.
- يبحث علم التوحيد في مجالات عدة هي : الإيمان با ، وكتبه ، ورسله ، وملائكته ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره .
- أشرف العلوم الدينية والدنيوية هو علم التوحيد ، لأنه يتعلق بـا رب العـالمين ، ويستمد أهميته من عظمة الخالق سبحانه .
- وتعلم القدر الضروري منه فرض عين على كل مسلم ومسلمة لتثبيت الإيمان بـا ورسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر والقدر خيره وشره.
- ولقد اهتم القرآن بموضوعات هذا العلم وكاد القرآن المكي أن يقتصر عليهـا ومـا يتصل بها .
- ولقد اهتم المسلمون الأولون به فعزوا وسادوا ، وعندما أهملوه اختلـت عقائـدهم وسرى الخلل إلى سلوكهم وأعمالهم فاستعمر الكفار أرضهم وبلادهم.

الفصل الثاني

أهمية علم التوحيد في الدين

الإيمان أساس العمل :

س: لماذا لا يقبل ا العمل إلا من المؤمن؟

ج : إن الذين لا يؤمنون با ولا يرجون ثوابه ولا يخافون عقابه يعملون أعمالهم وهـم لا يريدون بها وجه ا ، ولا يبتغون بها رضاه ولا يهمهم هل عملوا حلالاً أم حراماً فهم بهذا لا يستحقون الثواب على العمل وإن كان صالحاً ، لأنهم كفار لم يقصدوا به أن ينالوا ثـواب ربهم ، ولا ابتغوا به رضا خالقهم ، والكافر معاقب على كفره وضلاله ؛ لأنه لم يبحث عـن

دين ا ولم يحاول الاستماع إلى البيان الإلهي الذي جاء به المرسلون ، زيادة علـى ذلـك فهو إذا سمع آيات ا تتلى عليه، اتخذها هزواً لذلك فعمله مردود وهو معاقب على كفـره .قال تعالى : وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا [الفرقان : ٢٣] . مَثَـلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّـا كَسَـبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ [إبراهيم ١٨]. وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَـالُهُمْ كَسَـرَابٍ بِقِيعَـةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَـرِيعُ الْحِسَابِ [النور: ٣٩]

مثال :

دخل رجل إلى بستان كبير لا يملكه ، فوجد فيه الفواكه ، وأنواع المأكولات ، فأكل وشرب ، ثم أخذ يقوم بأعمال داخل البستان: هذه الشجرة يقلعها ، وتلك يغرسها ، ودخـل البسـتان رجل آخر قال لنفسه : لن أفعل شيئاً بهذا البستان حتى أتصل بصاحب البستان أو من يمثله أو ينوب عنه ، وأخذ يبحث عنه فإذا بمندوب صاحب البسـتان يصـل إليهمـا ، فاسـتنكر المندوب أعمال الشخص الأول ، ولكنه لم يهتم بالكلام ، وأخذ يتصرف بالبستان بـدون إذن من مالكه ، أما الشخص الثاني فقد سمع التوجيهات من مندوب صاحب البسـتان ، وأخـذ يعمل طبقاً لها ، فأيهما يستحق المكافأة؟ وهل يستحق ذلك الذي اقتحم البستان وسخر مـن توجيهات صاحب البستان التي حملها مندوبه؟ هل يستحق مكافأة ولو عمل عملاً صالحاً في البستان؟

لا شك أن كل عاقل يقول بأن الجزاء[1] للذي اتبع إرشادات صاحب البستان ، وأن الذي اقتحم البستان وأخذ يعمل به كما يشاء بدون رضا صاحبه ومالكه ـ رغم وصول من ينـذره ـ لا شك أنه لا يستحق الجزاء ، ولو أحسن في بعض أعماله.

وكذلك هذه الأرض وما فيها ، ملك ا ، ورسل ا هم المنسوبون ، والمؤمن هـو الـذي عمل طبقاً لهدى ربه ، والكافر هو الذي يتصرف في ملك ربه ، بدون إذن أو هداية ، وهـو في نفس الوقت قد أعرض عن رسل ربه .

باب الإسلام : أداء الشهادتين:

س : لماذا جعل الإسلام أداء الشهادتين أول أركانه؟

ج : إن تأدية الشهادة معناه : أنك مقتنع ومصدق بأن لهذا الكون إلهاً خلقـه ، وأوجـده ، ونظمه ، وأحكمه ، وأنه إله واحد لا شريك له ، وأنك أحد مخلوقاتـه . ومعنـى الشـهادة

الثانية: أنك تؤمن وتصدق وتوقن بأن محمداً رسول ا ، أرسله بالهدى وبالبيـان للحـلال الذي يرضي الخالق ، وللحرام الذي يغضبه ، وبأنك باتباع محمد صلى ا عليه وآله وسلم تتحقق طاعتك . ومن المعلوم أنك إذا لم تكن عارفاً بالتوحيد فإن شهادتك تكون شـهادة باطلة وناقصة .

إذن

لا بد لك من تعلم علم التوحيد لتكون شهادتك صحيحة ، وإسلامك صحيحاً وعملك مقبولاً قال تعالى :

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ [محمد :١٩] .

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَـهَ إِلَّـا هُـوَ الْعَزِيـزُ الْحَكِيمُ [آل عمران : ١٨] .

لذلك فعلم التوحيد أصل العلوم الدينية وأفضلها .

الخلاصة

- لا يقبل ا أعمال الكافرين ، ولا يتقبل ا إلا من المؤمنين .
- لأن الكافر يعمل غير قاصد به رضاء مالكه وخالقه وسيده ولا يهمه أيرضى ا عنه أم يغضب ، فاستحق العقاب وحرم الثواب .
- باب الإسلام أداء الشهادتين ، ولا تؤدى الشهادتان كاملتين إلا إذا تعلم المرء علـم التوحيد : لذلك كان علم التوحيد أهم العلوم في نظر الدين الإسلام.

الفصل الثالث :

أهمية علم التوحيد في الحياة الدنيا

أضرار الجهل بعلم التوحيد :

س : ما هو الجهل بعم التوحيد في حياة الناس؟

ج : أولاً : يعيش الذي لا يعرف خالقه كالأعمى في هذه الحياة الدنيا ، فهو لا يدري لمـاذا خلق؟ ولا يدري ما الحكمة في وجوده على الأرض!! تنتهي حياته وهو لا يعرف لماذا بدأت! ويخرج من الدنيا وهو لا يدري لماذا دخل إليها؟!

قال تعالى : وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ [محمد: ١٢] .

ثانياً : من لا يؤمن باليوم الآخر يغتر بالحياة الدنيا ، ويجعل كل همه أن يحقق مصالحه في هذه الدنيا قبل أن يموت ، فهو يتكالب على أطماع الدنيا ، يأخذها من حـلال أو حـرام ، لا

يهمه أن يلحق ضرراً بغيره ، وكل ما يهمه هي مصلحته الشخصية ، وبهذه الروح الأنانية ، يتفكك المجتمع ، وتفسد المعاملة بين أبنائه ، ويكون بعضهم حرباً على بعض ، بعكس المجتمع المؤمن المتماسك .

ثالثاً : إذا فشا الجهل بعلم التوحيد فسدت العقائد ، وفسدت الأعمال ، وكثرت المعاصي والذنوب فينزل ا عقابه بالمسلمين الذين أهملوا دينهم وضيعوه .قال تعالى: ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ [الروم :٤١] .

أثر علم التوحيد في الحياة:

س: وما هو أثر علم التوحيد في الحياة؟

ج : أولاً : إن الموحد المؤمن بربه ورسله ، قد علم لماذا خلقه ربه فسار في هذه الدنيا على صراط مستقيم ، يعرف البداية والنهاية ، بعيداً عن حياة العمى والضلال .

قال تعالى : أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [الملك:٢٢] .

ثانياً : التوحيد يجعل قلوب الناس جميعاً موحدة حول رب واحد وكتاب واحد ورسول واحد وقبلة واحدة، والإيمان يجعل الناس متحابين متآخين كما وصفهم ا بقوله : إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ [الحجرات: ١٠] .

وكما وصفهم عليه الصلاة والسلام بقوله : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) والمجتمع المؤمن، مجتمع متعاون على البر والتقوى ، يتناهى أفراده عن الإثم والعدوان كل منهم يعمل ليفوز برضا ربه ، يخشى أن يظلم أو يسرق ، أو يغش أو يقتل ، أويخدع ، أو يزني ، أو يرشو ، أو يرتشي ، أو يكذب ، أو يحسد ، أو يغتاب ، أو يسيء إلى أحد ؛ لأنه يخشى ا ، ويخاف من الوقوف بين يديه .

وعندما كان المسلمون متمسكين بالتوحيد كانوا كما وصفهم ربهم: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ [آل عمران: ١١٠] .

ثالثاً : إذا انتشر الإيمان بين الناس أثمر أعمالاً صالحة ترضي ا سبحانه فيفتح عليهم أبواب الخير ، وينصرهم على عدوهم .قال تعالى : وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [الأعراف : ٩٦] . إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ [محمد:٧] .

وهكذا كان المسلمون الأولون ، ضعافاً فقراء فآمنوا وعملوا الصالحات ففتح ا لهم الدنيا ، وأغناهم من فضله ونصرهم على عدوهم نصراً مؤزراً .

الخلاصة

- من لا يعرف التوحيد يعيش في حياته أعمى كالحيوان تنتهي حياتـه علـى الأرض وهو لا يدري لماذا بدأت ، ويخرج منها وهو لا يدري لماذا دخل إليها .
- الذي لا يؤمن باليوم والآخر ، لا تهمه إلا أطماع الدنيا يجمعها من حلال أو حـرام ، وبهذا تفسد الحياة ويتفكك المجتمع.
- إذا ضعف الإيمان زادت الذنوب وأرسل ا عذابه على المذنبين.
- أما المؤمن فيعرف ربه وخالقه ، ويعرف لماذا خلقه ا في الدنيا فيعـيش مهتـدياً بهدى ا ، سائراً على الصراط المستقيم، والمؤمن لا يظلم، ولا يقتل ، ولا يسـرق ولا يأتي الفاحشة ، ولا يرتكب المحرمات وهو مؤمن، فبهذا تصلح حيـاة النـاس ، ويوجد المجتمع المتآخي ، المتماسك.
- الإيمان يثمر العمل الصالح، ويرضي الخالق، فيفتح ا البركات، ويمـد المـؤمنين الصادقين بالنصر على أعدائهم كما حدث للسلف الصالح في هذه الأمة .

الفصل الرابع :

كيف نعرف ا

معرفة وجود ا :

س: كيف نعرف وجود ا ؟

ج : إذا رأيت سيارة تتحرك أمامك من بعيد ، ورأيت طيارة تطير في السماء فستجزم وتتأكد أن سائق السيارة الذي يسوقها بإتقان في الطريق الملتوية موجـود، وسـتتأكد أن الطيـار موجود.

س : وكيف تأكدنا من وجود سائق السيارة والطائرة؟

ج : لأنه لو لم يوجد الطيار أو الذي يسوق الطائرة ما كنا سنرى الطائرة تطير بإتقان مـن بلد إلى بلد .

س : فكيف عرفنا وجود ا ؟

ج : إن ا هو الذي يسير الشمس والقمر والنجوم والكواكب وهو الذي يقلب الليل والنهار ، وهو الذي خلق جميع المخلوقات فهو لا شك موجود .

س : وكيف ذلك؟

ج : لو أن ا ـ أستغفره سبحانه ـ غير موجود فإن الشمس والقمر والنجوم والكواكب والليل والنهار سوف تذهب وتتوقف في سيرها المنتظم ، وستنعدم جميع المخلوقات . لأن المخلوقات لا توجد من غير شيء ، وإذا لم يوجد خالقها فلن يكون لها وجود.

قال تعالى: أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ [الطور :٣٥، ٣٦] .

معرفة صفات ا :

س: وكيف نعرف صفات ا ؟

ج : نعرف صفات ا بالتفكير في مخلوقاته وبالتعلم من رسله. إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ [الجاثية: ٣، ٤].

س: وكيف نعرف صفات ا من التفكر في مخلوقاته؟

ج : إذا تفكرت في السيارة ـ مثلاً ـ فسترى :

- أن الحديد الذي في السيارة يشهد لك أن الصانع لديه حديد وأن صانع السيارة قادر على تشكيل الحديد في شكل سيارة كما ترى .
- وان الزجاج الذي في السيارة يشهد لك أن الصانع لديه زجاج وأن لديه القدرة على تشكيل الزجاج في شكل ألواح ، وفي شكل أغطية للمصابيح كما ترى .
- وأن لديه أسلاكاً لنقل الكهرباء .
- وأن لديه علماً بصناعة كل أجزاء السيارة .
- وأن لديه خبرة هندسية في صناعة السيارة .
- وأن لديه إرادة في صنع سيارة من المواد التي صنعت منها السيارة .
- وهكذا نستطيع أن نعرف كثيراً من صفات صانع السيارة .
- س: وما علاقة هذا المثال بمعرفة صفات ا ؟
- ج : كما عرفنا صفات صانع السيارة من التفكير في السيارة التي صنعها فكذلك ـ و المثل الأعلى ـ نستطيع أن نعرف بعض صفات ا من التفكير في مخلوقاته.
- سنشاهد الحكمة في كل مخلوقات ا تشهد أنها من صنع الحكيم.
- سنشاهد الخبرة في كل مخلوقات ا تشهد أنها من صنع الخبير .
- سنشاهد القوة في كل مخلوقات ا تشهد أنها من صنع القوي .
- سنشاهد الصور البديعة في كل مخلوقات ا تشهد أنها من صنع المصور البديع.
- سنشاهد الهداية في كل ما خلق ا تشهد انه من صنع الهادي .
- سنشاهد الحياة في كثير من مخلوقات ا تشهد أنها من صنع المحيي .

- سنشاهد العلم في كل ما خلق الله يشهد أنه من صنع العليم .
- سنشاهد الحفظ لكل ما خلق الله يشهد أنه من صنع الحافظ .
- سنشاهد تدبير الأرزاق لكثير من مخلوقات الله يشهد أنه من صنع الرزاق.
- سنشاهد النظام الموحد والاستقرار في الكون كله يشهد أنه من صنع الواحد.

وهكذا عرفنا عند تفكيرنا في مخلوقات الله أنه :

الحكيم ، الخبير ، القوي ، المصور البديع ، الهادي ، المحيي ، العليم ، الحافظ ، الـرزاق ، الواحد .

س : وهل نستطيع أن نعرف كل صفات الله بالتفكير في مخلوقاته؟

ج :لا نستطيع ذلك .

س : ولماذا ؟

ج : عندما تفكرنا في السيارة عرفنا أن لدى صانعها قدرة ، وعلماً ، وخبرة ، وإرادة ، وأن لديه حديداً ، وزجاجاً وأسلاكاً من مواد السيارة ، ولكنا لا نعرف هل صاحب السيارة كريم أم بخيل ، طويل أم قصير ، يحبنا أم يكرهنا ، ظالم أم عادل؟

فكذلك ـ ولله المثل الأعلى ـ يمكننا أن نعرف كثيراً من صفات الله بالتأمل في مخلوقاتـه ، ولكن كثيراً من صفاته ستبقى مجهولة لدينا ، فلا يمكننا أن نعرف لماذا خلقنا؟ ولماذا يميتنا ؟ كما لا يمكننا أن نعرف صفاته العليا مثل : أنه المعبود، والقدوس ، والأعلى ، والحسيب ، والمنتقم والغفور إلا بتعلم منه سبحانه .

س : فكيف عرفنا ما جهلنا من صفات ربنا؟

ج : بواسطة الرسل الذين علمونا ما شاء ربنا أن نعرفه عنه.

قال تعالى : وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ [البقرة:٢٥٥] .

الخلاصة

- إذا رأينا السيارة تتحرك بإتقان وكذلك الطائرة ، شهد ذلك بوجود السائق.
- وإذا رأينا السير المنظم للشمس والقمر والنجوم والكواكب والليل والنهـار، وخلـق المخلوقات بإحكام وإتقان شهد ذلك بوجود الله .
- لو أن الخالق غير موجود ، لكانت المخلوقات جميعاً معدومة .
- إذا تفكرنا في سيارة ـ مثلاً ـ فسنعرف أن صانعها يملك الحديد والزجاج والأسلاك وسائر المواد التي ركبت منها السيارة ، وأن لديه قدرة على الصناعة وعلمـاً بهـا وخبرة هندسية وإرادة .

- وإذا تفكرنا في مخلوقات الله عرفنا أن الحكمة التي فيها من حكيم ، والخبـرة مـن خبير ، والقوة من قوي ، والصور البديعة من مصور بديع، والهدايـة مـن هـاد ، والحياة من محيي ، والعلم من عليم ، والحفظ من حفـيظ، والـرزق مـن رزاق ، والنظام الموحد المستقر من واحد.
- أرسل الله إلينا رسله لتعليمنا ما جلهنا من صفاته وأوامره سبحانه .

الفصل الخامس :

فلينظر الإنسان إلى طعامه

س: لماذا أمرنا الله أن ننظر ونتفكر في طعامنا في قوله تعالى :

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ [عبس:٢٤] .

ج: لقد أمرنا الله سبحانه بأن نتفكر في كل شيء وفي هذه الآية أمرنا أن ننظر ونتفكر فـي طعامنا ؛ لأن طعامنا من خلقه سبحانه ، وكما بينا سابقاً أن في المخلوقات علامات وآيـات تعرفنا ببعض صفات ربنا سبحانه .

س : وما هي صفات ربنا التي نعرفها من التفكير في طعامنا؟

ج: نستطيع أن نعرف كثيراً من صفات ربنا .

منها أنه سبحانه الرزاق ، العليم الخبير ، الحكيم ، الرحيم ، الكـريم، الهـادي، المحيـي ، المصور .

س : وكيف نعرف أن الله هو الرزاق؟

ج : إن الله هو الذي يرزق الإنسان وهو في بطن أمه ، فلا الأم ولا الأب ولا الحكومـة ولا الشعب ولا أحد يستطيع أن يرزق الجنين وهو في بطن أمه ، ولكن الله الرزاق هو الذي مد أنبوبة (حبل السرة) من بطن الجنين إلى رحم أمه وساق له الغذاء مدة تسعة أشـهر حتـى خرج من بطن أمه .

ولما خرج من بطن أمه وقص حبل السرة ، ختم الله على الفتحة التي كان الطعام يصل منها إليه (السرة) وفتح له طريقاً جديداً (الفم والمريء والمعدة والأمعاء) .

فهل أمك هي التي ختمت فتحة السرة ، وفتحت لك الفم وأنشأت لك الجهاز الهضمي؟ وهل أسهم أبوك في شيء من ذلك؟ وهل اشتركت الحكومة أو الشعب في صنع عرق أو قطرة دم؟!!

وهل قامت الجبال والأشجار والنجوم والكواكب أو أي جزء من أجزاء الطبيعة بتنظيم أمر رزقك وطعامك؟

وبعد أن خرجت من بطن أمك طفلاً صغيراً لا تستطيع أن تأكل الحبوب والثمار، أو اللحم والخبز ، وغذاؤك الذي كان يأتيك إلى بطن أمك قد انقطع بقطع حبل السرة، فهل يتركك الرزاق بدون رزق؟

كلا . لقد فتح لك مصدراً جديداً لطعامك من ثدي أمك ، الذي كان فارغاً من اللبن قبل ولادتك ، وألهمك الرزاق أن تمص الثدي لإخراج ما فيه من اللبن ، وأنت في تلك الحالة لا تعلم شيئاً؟!

فهل علمت الطبيعة الجامدة التي لا علم لها أنك قد خرجت من بطن أمك وأن غذاءك قد انقطع فكونت لك الغذاء من ثدي أمك؟!

كيف والطبيعة صماء بكماء لا علم لها ولا حكمة؟!

وهل أسهم أحد من المخلوقين في تكوين غذائك من ثدي أمك؟!

إن أمك التي تتغذى من ثديها لم تفعل ذلك اللبن وإنما هي مسخرة لك بأمر ربك وربها.

ولكن إلى متى تستمر في الاعتماد على أمك؟

سيأتي لك أخوة آخرون يريدون ثدي أمك..

وستحتاج أن تبتعد عن أمك وتستقل بنفسك..

إذن لا بد من مصدر جديد.

١. إن الذي رزقك في جوف الرحم.

٢. والذي رزقك طفلاً صغيراً من ثدي أمك.

وقد أعد لك الرزق في كل مكان تذهب إليه على هذه الأرض فأوجد التربة الصالحة للزراعة.

وأوجد الماء الذي يحتاجه النبات لصناعة الطعام لك وللناس جميعاً .

وأوجد الهواء الذي يحتاجه النبات لصناعة الطعام لك وللناس جميعاً .

وأوجد الشمس التي يحتاج إليها النبات في صناعة الطعام .

وأوجد النبات بكميات كبيرة لصناعة طعامك وغذائك .

وأخرج لك الثمار .

وما كان منها صغيراً جمعه لك في سنابل كالقمح والشعير أو في عناقيد كالعنب .

وما كان كبيراً أو متوسطاً جعله مفرقاً كالتفاح والبطيخ والبرتقال والجزر.

ثم جعل لك (ورشة) الأسنان القاطعة والممزقة والطاحنة والخلاطة (اللسان) واللعاب المبلل ليسهل لك الأكل من هذه الأشجار وثمارها .

وهكذا بالتفكير في مخلوقات ا نعرف أن ا هو الرزاق سبحانه .

س : وكيف تعرف نعرف باقي الصفات التي ذكرتها سابقاً .

ج : نعرف أن ا هو العليم .

لأن الذي أوصل لك الغذاء وأنت في بطن أمك قد علم أنك بحاجة إلى الغذاء فساقه إليك ، وكون حبل السرة ، ولما خرجت من بطن أمك علم بخروجك فساق لك الغذاء من ثدي أمك ، وعلم بأن الماء في التربة فخلق له الجذور وما فيها ما من ماصات جذرية للماء والأملاح ، وعلم بحاجة اليخضور في الأوراق إلى ضوء الشمس فجعل الأوراق معرضة لضوء الشمس ، وعلم بحاجة النبات إلى الماء فساق إليه الماء . فلا شك أن ا هو الرزاق العليم سبحانه .

س : وكيف نعرف أن ا هو الحكيم؟

ج : إذا شاهدت الإحكام بين حبل السرة وجسم الطفل ينمو بنموه ويرتبط به وبرحم الأم في غاية الإتقان ، وإذا رأيت الإحكام في تركيب لبن الأم الذي يتناسب مع نمو الطفل ، وإذا رأيت الإحكام في تركيب أجزاء النبات ، وفي إخراج الثمر وتخزينها ، شهد لك كل ذلك الإحكام أنه من صنع الرزاق العليم الحكيم.

س : وكيف نعرف أن ا هو الخبير؟

ج : إن نقل غذاء الأم المهضوم بين الدماء إلى جسم الجنين عن طريق حبل السرة لا يتم إلا بخبرة خبير .

ألا ترى أن نقل محتويات إبرة إلى الوريد يحتاج إلى خبرة وحكمة؟ فكيف بنقل مستمر طوال تسعة أشهر للغذاء من جسم الأم إلى جسم الجنين؟

وكذلك استخراج اللبن من الغذاء الذي تأكله الأم لا يكون إلا بخبرة خبير.

وتكون الحبوب والثمار المختلفة الأشكال والألوان والطعوم مع أنها جميعاً قد تكون من تراب واحد وسقيت بماء واحد وتنفست أشجارها هواء واحداً ، وتحركت مصانعها بطاقة شمس واحدة .

ألا إن كل ذلك يشهد أنه من صنع الخبير الرزاق العليم الحكيم .

س : وكيف نعرف أن ا هو الرحيم؟

ج : إذا عرفت عجز الجنين في بطن أمه عن تدبير رزقه، وعرفت عجز الرضيع عـن رزق نفسه، وعجز الإنسان عن صنع الحبوب والثمار ، وتكوين المطر، وصنع الهواء.

إذا عرفت ذلك ، وعرفت كيف أنقذ ا عبده بصنع ما يحتاج إليه من غذاء في الرحم والثدي والنباتات ، شهد لك ذلك كله أنه من صنع الرزاق الحكيم العليم الخبير الرحيم .

س : وكيف نعرف أن ا هو الكريم؟

ج : إن الإنسان إذا تولى النفقة على عشرة أشخاص بدون مقابل سماه الناس كريماً، فمـا بالك بمن تكفل بأرزاق البشر أجمعين وتكفل بأرزاق كل الكائنات الحية.

إن ذلك كله يشهد أنه من صنع الكريم سبحانه: وَمَا مِنْ دَابةٍ فِي الْأَرْضِ إلا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُل فِي كِتَابٍ مُبِينٍ [هود:٦] .

س: وكيف نعرف أن ا هو الهادي؟

ج : إذا رأيت الثدي بعد الولادة قد امتلأ باللبن فمن الذي هداه إلى ذلك؟ ومن الـذي هـدى الطفل أن يمتص ذلك الثدي إذا امتلأ لبنا؟!

لا شك أن ذلك يشهد أنه من صنع الهادي .

وإذا رأيت البذرة تنفلق في التربة فتتجه أغصانها إلى أعلى الأوراق وتتجه جـذورها إلـى أسفل حتى ولو كانت الحبة مقلوبة ، إن ذلك يشهد أنه من صنع الهادي سبحانه.

وهذه الأوراق التي ترتب في كل شجرة بنظام محكم بحيث تتعرض جميعاً للشمس ولا تغطي إحداها الأخرى .

فمن الذي يهدي كل ورقة إلى مكانها الصحيح؟

إنه بدون شك الهادي الرزاق الحكيم العليم الخبير الرحيم الكريم سبحانه . سَبحْ اسْمَ رَبـكَ الْأَعْلَى الذِي خَلَقَ فَسَوى وَالذِي قَدرَ فَهَدَى [الأعلى:١-٣]

س : وكيف نعرف أن ا هو المحي؟

ج : إن التراب والماء والهواء والضوء كلها مواد ميتة لا تنمو ولا تتحرك ولا تـتنفس، ولا تتزاوج ولا تتغذى ، فإذا رأينا أن الخالق يكون من هذه المواد الميتة نباتات وأشجاراً تنمو، وتتنفس ، وتتحرك ، وتتغذى ، وتتزاوج فتنتج الثمار والحبوب، عرفنا أن الخالق قد جعـل من المواد الميتة أشجاراً ونباتات حية نعلم أنه المحي سبحانه وأنه الرزاق الحكـيم العلـيم الخبير الرحيم الكريم الهادي جل وعلا .

س : وكيف نعرف أن ا هو المصور؟

ج : إذا رأيت قطعة من الطين قد تحولت إلى صورة شجرة مثمرة فأنت تجـزم بـأن تلـك الصورة لا تكون إلا أن من صنع مصور .

فإذا رأينا التراب وقد أحياه ا فجعله نباتات مختلفة الأشكال والألوان والثمار، لكل شـجرة رسم خاص في أوراقها وعروقها وأغصانها وأزهارها وثمارها، فمن جعل التـراب والمـاء والهواء وضوء الشمس حدائق ذات بهجة ، في أجمل صورة؟!

إن ذلك كله يشهد أنه من صنع المصور سبحانه وتعالى.

وهكذا بالتفكير في خلق ا ، وبالتأمل في طعامنا عرفنا بعض صفات ربنا:

فشهد لنا تدبير الرزق أنه من صنع الرزاق.

وشهد لنا الإحكام في الخلق أنه من صنع الحكيم.

وشهدت لنا الخبرة في الصنع أنها من صنع الخبير .

وشهد لنا العلم الذي ركب به الخلق أنه من صنع العليم.

وشهدت لنا الرحمة المشاهدة بما خلق ا أنها من صنع الرحيم.

وشهد لنا الكرم الفائض أنه من صنع الكريم.

وشهدت لنا الهداية المقدرة الموجهة أنها من صنع الهادي.

وشهدت لنا الحياة المتنوعة أنها من صنع المحيي .

وشهدت لنا الصور المتقنة أنها من صنع المصور البديع سبحانه.

س: وما فائدة معرفتنا ببعض صفات ا ؟

ج: إذا عرفنا الصفات الموصوفة ، فإذا عرفنا أن الذي خلق الطعام هو الـرزاق، الحكـيم ، الخبير، العليم، الرحيم ، الكريم ، الهادي ، المحيي ، المصور.

عندئذ نجزم بأن ا سبحانه هو صاحب هذه الصفات.

لأن الطبيعة التي يزعم الكافرون أنها خلقت النباتات وغيرها لا تتصف بهذه الصفات.

فلا تدبير للطبيعة حتى نقول : إنها التي دبرت الأرزاق ولا إرادة لها .

ولا حكمة للطبيعة.

ولا خبرة للطبيعة .

ولا علم للطبيعة .

ولا رحمة للطبيعة.

ولا كرم للطبيعة لأنه لا أخلاق لها .

ولا هداية للطبيعة .

ولا حياة للطبيعة تمكنها أن تهب الحياة لغيرها.

ولا تصوير للطبيعة حتى نتوهم أنها التي أبدعت هذه الصور الجميلة.

وما قيل في الطبيعة يقال في كل وثن أو صنم تعلق الناس به قديماً أو حديثاً فنعرف ونجزم أن ا هو الرزاق ، الذي أوجد لنا الآيات الدالة عليه في مخلوقاته سبحانه، وقال لنا في كتابه: فَلْيَنْظُرْ الْإِنسَانُ إِلى طَعَامِهِ أَنا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبا ثُم شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ [عبس: ٢٤-٣٢]

الخلاصة

٣. أمرنا ا بالتفكر في طعامنا لأنه جعل في كل ما خلق علامات تعرفنا ببعض صفاته.
٤. وإذا تأملنا كيف ساق ا الرزق للإنسان وهو في بطن أمه، ثم كيف ساقه له من ثدي أمه، ثم كيف ساقه له من نباتات الأرض، عرفنا أن ا هو الرزاق سبحانه.
٥. ونعرف أن ا هو العليم لأنه علم بحاجتك إلى الرزق وأنت في رحم الأم فساقه إليك ، وعلم بخروجك من بطن أمك فساق لك الغذاء من ثدييها، وعلم بوجود الماء في التربة فجعل في النباتات جذوراً وماصات جذرية، وعلم بحاجة الأوراق واليخضور ـ الذي فيه ـ إلى ضوء الشمس فجعل الأوراق تنمو في اتجاه ضوء الشمس.
٦. ونعرف أن ا هو الحكيم عندما نشاهد الإحكام المتقن في صنع حبل السرة، وعندما رأينا الإحكام في مناسبة لبن أمك أثناء نموك، وعندما نرى الأحكام في كل جزء في النباتات.
٧. ونعرف أن ا هو الخبير عندما نرى الخبرة في نقل الغذاء إليك من أمك وأنت في رحمها وعندما نرى استخراج اللبن من الطعام الذي تأكله الأم، وعندما نفكر في تكوين الثمار المختلفة من تراب واحد وماء وهواء واحد وشمس واحدة.
٨. ونعرف أن ا هو الرحيم عندما نعرف أننا بدون رزق منه نموت فرحمنا وساق لنا الأرزاق برحمته وفضله.
٩. ونعرف أنه كريم سبحانه عندما نرى رزقه غمر كل مخلوق.
١٠. ونعرف أنه الهادي عندما نرى التوجيه السديد للثدي الذي امتلأ بعد خروج الجنين من بطن أمه، وعندما نرى الإلهام للطفل لمص ثدي أمه وهو لا يعلم شيئاً ، وعندما نرى التوجيه المقدر في نمو البذور وفي نمو الأرزاق.
١١. ونعرف أنه المحيي عندما نشاهد الحياة تدب في المواد الميتة.
١٢. ونعرف أنه المصور عندما نرى الصور الجميلة المختلفة تتكون من تراب وماء وهواء .

١٣. وإذا عرفنا أن الذي خلق الطعام هو الرزاق ، العليم ، الحكـيم ، الخبيـر ، الرحيم، الكريم، الهادي ، المحيي ، المصور سبحانه ، عرفنا أنه ا لأن الطبيعة أو الأوثان بكل صورها لا تتصف بهذه الصفات.

الفصل السادس

السيول الطائرة

السحاب سيل طائر:

س : ما هو السحاب؟

ج : السحاب ماء يطير في الهواء فإذا كان كثيراً تكونت منه السيول العظيمة، التي تسـقط إلى الأرض مكونة مياه الآبار ، والأنهار (والغيول) والعيون والمياه الجوفية، التي نشـرب منها ، ونسقي زرعنا وأنعامنا . قال تعالى:

أَلَمْ تَرَى أَن اللهَ أَنْزَلَ مِنْ السمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْض ثُم يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًـا أَلْوَانُهُ [الزمر: ٢١] .

س: كيف يتكون السحاب؟

ج : يرسل ا حرارة الشمس فتتبخر مياه البحار فيصعد إلى السماء ماء عذب، لا ملوحـة فيه ، ولكن هذا البخار لا يستمر في صعوده ليصب في القمر أو المريخ، فليس المقصود أن يصب هناك ، إنما المراد أن يصب غيثاً لعباد ا في أوساط القـارات، وشـتى أجزائهـا ، فالحاجة ماسة له هناك . فقدر ا نظاماً يسير به ماء البحر غيثاً لخلقه.

س : وما هو هذا النظام (السنة الإلهية)؟

ج : ١ ـ لقد جعل ا حرارة الشمس والرياح سبباً في رفع بحار الماء من البحر إلى فوق مستوى الجبال (في الغالب).

وذلك لكي لا تعوق الجبال انتقال الماء من فوق البحر إلى أواسط القارات. ورفـع ا مـاء البحر (بخاراً) ولم يرفع معه الملح الذي يختلط بما البحر لكي لا يضر ذلك الملـح الإنسـان والنبات والحيوان .

قال تعالى : أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنْ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ [الواقعة:٦٨-٧٠]

٢ ـ لقد جعل ا الرياح وحرارة الشمس سبباً في رفع الماء من البحر إلى فوق مستوى الجبال كما قال تعالى :

حَتى إِذَا أَقَلتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيتٍ [الأعراف: ٧٥] .

وأقلت : أي حملت ورفعت.

وجعل ا البرودة في الجو ـ التي تزداد بالارتفاع من مستوى سطح البحر إلى ارتفاع ٨ أميال ـ سبباً في إيقاف ارتفاع الماء إلى أعماق السماء.

س : ولماذا تزداد البرودة بالارتفاع إلى أعلى؟

ج : إذا ارتفعنا إلى أعلى قربنا نسبياً من الشمس وكان المفروض أن تزداد درجة الحرارة كما هو الحال في طبقات الجو العليا.

ولكن ا جعل الأمر عكسياً كلما ارتفعنا انخفضت درجة الحرارة إلى مسافة ثمانية أميال بدلاً من زيادتها . وذلك لكي يسكن الماء الذي خرج من البحر في جو الأرض ولا يستمر تصاعده حتى يتبدد في أعماق السماء.

قال تعالى : وَأَنزَلْنَا مِنْ السمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَناهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ [المؤمنون : ١٨]

س : وما هي سنة (تجميع بخار الماء)؟

ج : إن بخار الماء خفيف لا يرى، فيتصاعد إلى أعلى ، فيرسل ا الرياح محملة بذرات (الدخان، والأتربة، وحبوب اللقاح) فتتلقح جزئيات بخار الماء بها ، فتستثيرها ، فيتجمع بخار الماء حول تلك الجزئيات الملحقة مكوناً أغلفة مائية، حتى تصل إلى حجم كبير نشاهده سحاباً عندئذ قد أخذ يثقل بتجمع أجزائه فيساعد ذلك على عدم مغادرة بخار الماء الغلاف الأرض. اللهُ الذِي يُرْسِلُ الريَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ [الروم:٤٨]

س: وهل هناك سنن أو قوانين أخرى سنها ا للمشاركة في تنظيم سير المطر؟

ج : نعم السنتان الإلهيتان السابقتان : (سنة رفع الماء عذباً من البحار فوق مستوى الجبال ، وسنة وقف ارتفاعه بالتكثيف والتلقيح بالرياح لتثقل) عملتا على رفع ماء عذب إلى فوق مستوى الجبال فقط.

٣ ـ وهناك سنة ثالثة وهي : نقل هذا الماء من فوق البحار إلى أعماق القارات، وذلك بواسطة الرياح التي تسوق السحب دون أن تتقاضى من الناس ثمناً أو أجراً ، لأنها مسخرة لهم بأمر ربهم.

قال تعالى : وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [الأعراف : ٥٧] .

وانظر إلى الحكمة في تقدير الرياح ، بحيث كان قدرها وسرعتها مناسبين جداً لاستثارة السحب وثقلها ، لا لتكون مدمرة مخربة ، ولقد أعطانا ا عبرة ببعض العواطف والأعاصير المدمرة التي تبلغ سرعتها (٧٥ميلاً) في الساعة ، أما لو بلغت سرعة سير الرياح (٢٠٠ميل) في الساعة لما أبقت شيئاً على الأرض إلا دمرته . ولتعلم بآثار رحمة ا عليك، فاعلم أن هذه الرياح موجودة في الأرض فوق رأسك ما بينك وبينها إلا خمسة أميال فقط حيث يوجد التيار النفاث في الرياح التي تسير بسرعة (٢٠٠ ميل) في الساعة على ارتفاع (٥ أميال) فوق سطح البحر ولو نزلت هذه الرياح مسافة بضعة أميال لاختل نظام الحياة بعد أن يختل النظام الذي يسير عليه المطر، ولتعرض كل ما في الأرض للدمار وتشغل هذه الرياح المدمرة : (التيار النفاث) منطقة ارتفاعها ثلاثة أميال وبعدها تأتي منطقة لا رياح فيها فلو كانت المنطقة رقم (٣) بدلاً من المنطقة رقم (١) لما تحرك ماء إلى داخل القارات ، ولمات الناس والأنعام عطشاً ، فانظر إلى التصميم الحكيم في هذه الأرض .

٤ - وهناك سنة إلهية تعمل على إنزال المطر قطرات صغيرة، لا سيولاً متدفقة تدمر كل شيء.

٥ - وهناك سنة إلهية أخرى تجري الماء أنهاراً (وغيولاً) تنتشر في الأرض، كانتشار عروق الدماء في جسم الإنسان.

٦ - وهناك سنة إلهية تعمل على امتصاص أغلب الماء؛ لتحفظه من التعفن، ولتصبح الأرض صالحة للسير بدون عائق من الماء.

٧ - وهناك أيضاً سنة إلهية تعمل على حفظ الماء قريباً من سطح الأرض ، فينتفع به الناس في شكل عيون وآبار ، بواسطة صحن إلهي من الحجر يحفظ لنا المياه الجوفية حتى لا تغور في أعماق الأرض.

قال تعالى : قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ [الملك : ٣٠] .

إذن

- هناك تصميم حكيم في هذه الأرض يعمل تحت أمر خالقه بإتقان ونظام .
- هناك قوانين (وسنن) ثابتة ، مقدرة ، متقنة ، تعمل على تكوين ماء المطر ورفعه من البحار إلى فوق مستوى الجبال بعد تخليصه من الأملاح، ثم نقله إلى المخلوقات المحتاجة إليه في أواسط القارات وإنزاله نطفاً دقيقة نافعة غير ضارة، وتسييره

أنهاراً نافعة وامتصاصه لكي لا يعوق سير الحياة ، ولكي لا يبعث العفونة ، ولكـي يحفظه قريباً من سطح الأرض بصحن صخري .

مجيب الدعاء:

اسأل العارفين برحمة ربك سميع الدعاء ، اسألهم عن إجابته سبحانه دعـوة المضـطرين وإغاثته للملهوفين.

اسأل كم أصيبت أراض بالجفاف وانعدام المطر، فخرج المسلمون ـ كما علمهم رسـول ا ـ صلى ا عليه وآله وسلم ـ يدعون ربهم مستغيثين ، وما صدق قوم في دعاء ربهم إلا أجاب ا دعاءهم وأغاثهم بالمطر، وبهذا يشهد مئات الملايين من المسلمين فـي مشـارق الأرض ومغاربها.

ذلك هو التطبيق العملي الذي نعرف به أن خالق المطر هو السميع مجيب الدعاء.

قال تعالى : وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْـتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ [البقرة:١٨٦] .

نقاش

- من صاحب التركيب الحكيم في تصميم الأرض.
- من الذي قضى بهذه السنن والقوانين المنظمة الدقيقة المحكمة؟
- من الذي سمع دعاء المستغيثين فأجاب دعاءهم وأنشأت السحاب وأنزل المطر:
- وثن لا يقدر على فعل شيء ولا يعقل أمراً؟
- طبيعة عمياء صمياء بكماء لا تملك إرادة أو تدبيراً؟
- أم أن العدم هو الذي أنشأ ، وصمم ، وأوجد ، وكون ، وقدر ، وأتقـن ، وسـمع ، وأجاب ، وهو العدم الذي لا وجود له. فكيف ينتج الموجود من معدوم؟!
- أم أن ذلك كله شاهد يتحدث إلى العقول البشرية أن له رباً حكيماً، قـادراً، خبيـراً ، سميعاً ، مجيباً ، رازقاً ، مقيتاً ، مغيثاً لعباده؟! إن هذه السنن المحكمة، المقـدرة ، التي تنظم تكوين الأمطار وسيرها ، تتحدث إلى العقول بقدرة ربها ، وصفات خالقها ، ووجود منشئها ، فلولاه ما كان شيء مما تشاهد الأبصار من نظام وإتقان وتدبير وإحكام.

خلاصة شعرية

كن يـا أخـي إلـى السـحاب نـاظراً ... كيـف غـدا سـيلاً يسـير طـائراً
أرسـله لنـا الإلـه رحمـة ... فهـل شـكرت للإلـه النعمـة
فسـاطا الشـمس علـى البحـار ... فبعـث مـا فيهـا مـن البخـار

ورفع مائه إلى السماء	فوق الجبال هذه الشماء
وحاطه ببارد الهواء	لوقف رفعه إلى السماء
ولو أراد أوجد الحرارة	فلا ننال عندها قطاره
وساق نحوه الرياح نشراً	تثيره بعد سحاباً معصرا
فلا الجبال تستطيع رد ذا	إن شاء من ورائها أن ينفذا
وساق أخرى مثلها الخلاق	بقدر منه له تساق
ولو جرى من السماء سائلاً	لأمر الناس الفناء العاجلا
هذا إذا أنزل سيلاً في البلاد	فكيف لو صب جبالاً من برد؟
أنزله رفقاً بنا .. قطاراً	وبعضه سخره أنهاراً
وبعضه يمتصه هذا الثرى	كي لا يكون عائقاً سير الورى
لكن بقدر لا إلى الأعماق	يكف عنه الغور في الطباق
وفوق صحن كائن من الحجر	خزنه لليسر في نفع البشر
فيا ترى أذاك التدبير	تدبيره من ليس له تفكير؟!
من وثن أصم أو طبيعة	جامدة لربها مطيعة؟!
أم أنه لا ريب حقاً شاهد	بأن مولاه الإله الواحد
وكم أصاب المسلمين من جفاف	فنفروا ثقالهم مع الخفاف
وطلبوا من الإله الفرجا	فحققوا الفوز ونالوا المخرجا
فهل طبيعة أجابت أم وثن؟!	أم أنه السميع كشاف المحن

الخلاصة

- خالق الأرض وما فيها بتصميم حكيم.
- الذي سخر الشمس وحرارتها لرفع الماء العذب فوق مستوى الجبال.
- الذي أرسل الرياح ، وأنشأ السحب وأنزل الأمطار .
- الذي أجرى الأنهار (الغيول) وفجر العيون وخزن المياه الجوفية وحفظها من الضياع في أعماق الأرض بصحن صخري .
- الذي خلق الإنسان والحيوان والنبات وتكفل بالغذاء والمشرب فوفر لهم أسبابها .
- هو السميع مجيب الدعاء كاشف الضر مغيث الملهوف.

- إن الأوثان العاجزة والطبيعة البليدة الصماء البكماء لا تقدر على صنع أو تـدبير أو سمع أو إجابة .

الفصل السابع

البحر الذي نعيش في أعماقه

الهواء والحياة :

س : ما هي أهمية الهواء لحياتنا؟

ج : سد أنفك وفمك لمدة دقيقة أو دقيقتين ، عندئذ ستعرف أهمية الهواء بالنسبة لحياتـك، لأنه يحتوي على الأكسجين الذي تحتاجه ، وستجد أنه لو انعدم الهواء لمات الناس جميعـاً في دقائق معدودة، وكذلك جميع الحيوانات التي تتنسم الهواء. وتفكر هل تستطيع الاستغناء عن نعمة الهواء التي أنعم ا بها عليك لمدة بضع دقائق؟ وتفكر هل قمت بواجـب الشـكر لربك؟

فوائد أخرى للهواء:

س : وهل للهواء فوائد أخرى؟

ج : نعم .

١ - يكون الغلاف الهواء المحيط بالأرض درعاً واقياً لسكان الأرض من الشهب والنيـازك التي تسقط على الأرض كل يوم بالملايين.

فقد قدرت كثافة الهواء بإحكام حتى يتمكن من إحراق الشهب والنيازك قبل وصـولها إلـى الأرض بالغلاف الجوي ، ولولا ذلك لأحرقت الشهب المدن ، والقرى والمحاصيل.

كما يقوم غلاف (الأوزون) المحيط بالأرض على بعد عـدد مـن الأميـال بحمايـة الأرض وأحيائها من الأشعة الكونية المميتة التي تتجه إلى الأرض من السماء.

٢ - يقوم الهواء (الرياح) بتلقيح الأزهار في النباتات فتثمر ولولا ذلك لما وجدنا ثمرة فـي كثير من النباتات.

قال تعالى : وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ [الحجر:٢٣]

٣ - وعلى الهواء ينتقل الطير والطائرات.

٤ ـ والهواء بحر نعيش في أعماقه له ضغط على أجسامنا يوازن ضغط سـوائل الجسـم والدم وغير ذلك ولولا ذلك الضغط المناسب لانفجرت عروقنا ، والدماء التي فيهـا وبهـذا التعادل لا نحس ضغط الدم ولا ضغط الهواء.

٥ ـ والهواء (الرياح) ينقل لنا الأمطار مجاناً.

٦ ـ انتفع الإنسان كثيراً بالهواء في تسيير السفن الشراعية عبر القرن المتطاولة السابقة.

قال تعالى : إِنْ يَشَأْ يُسْكِنْ الرِيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُـل صَـبارٍ شَكُورٍ أَوْ يُوبِقْهُن بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ [الشورى: ٣٣، ٣٤] . إِن فِـي السـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُث مِنْ دَابةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ وَاخْتِلَـافِ اللَيْـلِ وَالنهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنْ السمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْـرِيفِ الرِيَـاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْـكَ بِـالْحَق فَبِـأَي حَـدِيثٍ بَعْـدَ اللـهِ وَآيَاتِـهِ يُؤْمِنُونَ [الجاثية : ٣-٦] .

توفيره وسهولة أخذه:

س : وما هي الأخرى المشاهدة في تكوين الهواء؟

ج : آيات ا في مخلوقاته كثيرة فمنها :

١ ـ توفير الهواء ـ الذي هو أهم محتاجات الإنسان على الإطلاق ـ فأوجده الخالق الرحيم في كل مكان على وجه الأرض فلا تتكاف في جمعه ولا في نقله ولا في خزنه.

٢ ـ وإذا تأملت في استهلاك الناس الدائم ـ وكذا الحيوانات ـ للهواء الصالح (الأكسجين) وتحويله إلى هواء فاسد خانق (ثاني أكسيد الكربون) فلا تقلق على مصيرك، وتقـول : إن استهلاك (الأكسجين) باستمرار ، سيؤدي في وقت قريب إلى انعدامه ، وعندئذ نموت ، لا .. لا تقل ذلك فإن لك رباً رحيماً قد عوضك عن كل نقص يحدث في (الأكسـجين) باسـتمرار ، وذلك بواسطة النباتات التي تأخذ (ثاني أكسـيد الكربـون) وتعيـد الأكسـجين المسـتهلك للحيوانات والإنسان.

٣ ـ خلق جهاز دقيق في الإنسان وهو لا يزال في بطن أمه هو (الجهاز التنفسي) ويعمـل باستمرار بدون كلل أو توقف منذ أيام الولادة الأولى وحتى الوفاة. يعمل ونحن في النوم أو في اليقظة، فكما أن خالقنا يسر لنا وجود الهواء في كل مكان، فمن رحمته أن يسر لنـا أن فأخذه بطريقة تنفسية آلية لا تتعبنا ولا تؤملنا ولا تكلفنا جهداً أو مشقة .

إذن

ا هو خالق الحياة وهو الذي أمد الحياة بما تحتاج من الهواء .

ا هو الذي أنعم على الأحياء بالهواء للتنفس ، والذي يحميهم من أخطار الشهب والنيازك ، ويلقح لهم كثيراً من النباتات ، وينقل الأمطار إليهم، وعليه يطيرون، ويوازن ضغط السوائل في أجسامهم.

هل تشاهد :

- الحكمة العظيمة في خلق الإنسان محتاجاً للهواء هي التي لأجلها خلق ا تعالى للإنسان ذلك الهواء المناسب لحياته ، ووفره له بكميات هائلة .
- التقدير البديع الحكيم في كثافة الهواء التي تحرق الشهب والنيازك قبل الوصول إلى الأرض ، والتي تعطي الهواء ضغطاً مناسباً دقيقاً يعادل ضغط سوائل جسم الإنسان الداخلية وتمكن الطير من الطيران بسهولة .
- حركة الهواء (الرياح) التي تقوم بتلقيح النباتات والسحب واستثارة السحب ونقلها إلى أواسط القارات ، وفي تسيير السفن الشراعية ردحاً من الزمن.
- ذلك التوفير الهائل بكمياته المناسبة للحياة في كل مكان على وجه الأرض.
- ذلك التوازن الدقيق ، المتقن، المقدر بين (الأكسجين) الهواء الصالح والهواء الفاسد (ثاني أكسيد الكربون).
- وذلك الجهاز التنفسي المحكم الذي يباشر أعماله بدون توقف وفي غاية من الدقة والسهولة، وبآلية لا تكلف الإنسان جداً أو مشقة في نومه أو يقظته.
- فمن صاحب هذه الحكمة العظيمة وذلك التقدير البديع ، والتنظيم الحكيم ، والتوازن المتقن، والتركيب العجيب؟
- أوثن لا يسمع ولايبصر ولا ينفع ولا يضر ولا يملك حولاً ولا قوة؟!
- أطبيعة صماء عمياء جامدة لا تملك حكمة ولا إرادة ؟!
- أعدم لا يفعل شيئاً؟!
- أم أن تلك الحكمة المشاهدة والتقدير البديع والتنظيم الحكيم ، والتوازن المتقن والتركيب العجيب كل ذلك شاهد أمام كل عاقل بأن رباً حكيماً، وخالقاً عظيماً ومريداً خبيراً ، منشئاً رحيماً ، هو خالق الهواء المحيط بأرضنا بتقدير حكيم وصنع لطيف ، وهو غير هذه المخلوقات المشاهدة . هو ا سبحانه .

الفصل الثامن

سكن وأمن

بيوتنا :

س : ما معنى قوله تعالى : وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا [النحل: ٨٠] .

ج : معنى ذلك ـ وا أعلم ـ أن بيوتنا محل راحة ، وهدوء وسكن نأوي إليها عند التعب ، ونحتمي بها من حر الصيف ، وبرد الشتاء ، وهجمات الوحـوش ، وهبـوب الريـاح ، وهطول الأمطار . فتكون البيوت سكناً لنا ولأهلينا أطفالاً ونساء؛ فبرحمة ا وتقديره وجدنا فيها مأوى ومقراً نسكن فيه ونهدأ ، ونحتمي فيه من كثير من الأخطار.

ولو شاء ا ما جعل لنا في بيوتنا سكناً . فهو القادر على إرسال الزلازل التي تجعلنا نفـر من تلك البيوت ، أو العواصف التي تجعلنا نهرع إلى الجبال، أو يرسل البرق أو الفيضانات أو يجعل الأرض رخوة تغوص البيوت فيها بمن فيها. لكن ا سبحانه وتعالى جعل لنا مـن بيوتنا سكناً .

ولقد يسر لنا أدوات البناء وإمكانيات التعمير:

- فمنحنا عقولاً مفكرة ترسم وتخطط وتهندس ، وأعطانا أبصاراً ترى ، وآذاناً تسـمع وتتعلم الخبرات والتجارب ، ووهب لنا أيادي تعمل ، وأقداماً تسير ، ومنحنا علمـاً ذلل لنا به الصعاب .
- ويسر لنا مواد البناء وذللها لنا؛ فهذه الأحجار نقطعها من الجبال والجبال خاضـعة، نأخذ منها ما شئنا ، ونقطع منها ما نريد، دون أن تقاومنا أو تمتنع علينا ، وتلـك الأخشاب نقطعها وننجرها وهي خاضعة مستسلمة لفعلنا.
- وكذلك التراب والطين والحديد والأسمنت كلها قد سخرت لنا واستسلمت بأمر ربهـا لتصرفنا.
- جعل ربنا الأرض قراراً ولمساكننا فلا تغوص بنا ولا تتزلزل من تحت أقـدامنا ، ولا يقذف دوران الأرض بنا وبمنازلنا بعيداً في الفضاء الخارجي، فقـد زود ا الأرض بجاذبية تمنع دوران الأرض من طردنا إلى الفضاء .
- قال ا تعالى : (ا الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات @ ذلكم ا ربكـم فتبـارك ا رب العالمين) سورة غافر ٦٤.

أثاث وفراش:

س: وهل هناك نعم أخرى تدخل في نطاق مساكننا؟

ج : نعم .. إن البيوت بغير فراش وأثاث ناقصة .

ولا يكتمل السكن فيها إلا بوجود أثاث وفراش. وقد تولى ا سبحانه خلق مواد الفـراش ، فأنبت القطن في الحقول ، وأنبت الشعر على جلود الأنعام ومنه نصنع البطانيات والسجاجيد والأغطية والخيام والمعاطف وجميع الملابس الصوفية المختلفة الأنواع. لنحتمي بهـا مـن البرد.

أما في المناطق الصحراوية حيث لا تتوفر الأحجار والأخشاب فإن جلود الأنعام وأصـوافها تتحول إلى خيام وفراش وأثاث وملابس، وكذلك حال الجنود والرحالين، الذين لا يسـتقرون بأبنية.

قال تعالى : وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًـا تَسْـتَخِفُونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَـوْمَ إِقَـامَتِكُمْ وَمِـنْ أَصْـوَافِهَا وَأَوْبَارِهَـا وَأَشْـعَارِهَا أَثَاثًـا وَمَتَاعًـا إِلَـى حِينٍ [النحل:٨٠] .

وبهذا الفراش المتوفر والأرض الممهدة والمساكن الآمنة ذات الإنسان ما أنعم ا عليه من أسكن وأمن .

هل تشاهد؟

- الحكمة الظاهرة في تهيئة الأرض لتكون لنا دار سكن وأمن لا دار خراب ودمـار . وتلك الحكمة تشهد أنها من صنع الحكيم الرحيم.
- الإمكانيات العظيمة: الفكرية والعملية التي منحنا خالقنا إياها فعمرنا الأرض، وشيدنا البنيان ، وسكنا ناطحات السحاب نحن بني الإنسان وتلك تشهد أنها من خلق الوهاب الرحمن الرحيم.
- التسخير الذي استسلم لنا بموجبه ما على الأرض من مخلوقات وذلك يشهد أنه من صنع الملك المتصرف، الذي استخلف بني آدم على هذه الأرض ومكنهم منها.
- التدبير الحكيم في معادلة الجاذبية الأرضية لقوة الطرد الناشئة من دوران الأرض.
- مما جعل الأرض قراراً لما عليها ، فيشهد ذلك التدبير الحكيم أنه من صـنع مريـد حكيم خبير قدير.
- توفير مواد الفراش والأثاث مما تزرعه الأرض، وما ينبت على جلود الأنعام حتـى يتم الإنسان راحته وأثاثه ومتاعه يشهد أنه من صنع الكريم الودود .
- مناقشة
- فمن هو الحكيم رب تلك الحكمة؟
- ومن هو الوهاب مانح تلك الإمكانيات البشرية؟

ومن هو الملك المتصرف في هذه الأرض الذي قضى على ما فيهـا مـن جبـال وأشـجار وأحجار وغيرها من المخلوقات أن تخضع لتصرف الإنسان؟

ومن هو المدبر الحكيم الذي وازن قوة الطرد الناشئة عن دوران الأرض مع قوة الجاذبية؟

ومن هو الكريم الودود الذي خلق للإنسان مواد الأثاث والفراش ومكنه من صنعه؟

- **أهو وثن لا يعقل ولا يتحرك؟!**
- **أم أنها الطبيعة التي لا تدبر أمراً ، ولا تملك لنفسها مشيئة أو إرادة؟**
- **أم أنه عدم لا وجود له؟!**
- **أم أن تلك الحكمة ، والموهبة ، والتصرف ، والتدبير الحكيم والكرم تشهد كلها أنها من صنع الخالق الموجود ، الحكيم ، الوهاب ، المالك ، المتصرف، المدبر ، الكريم الودود ، هو ا   سبحانه وتعالى.**

الفصل التاسع

رسل ا   وبينات رسالتهم

الحكمة من إرسال الرسل :

س : لماذا أرسل ا   الرسل؟

ج : ١ ـ أرسل ا   رسله لتعريف الناس بربهم وخالقهم، ودعوتهم لعبادته .

قال تعالى : وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُـولٍ إِلـا نُـوحِي إِلَيْـهِ أَنـهُ لـا إِلَـهَ إِلـا أَنَـا فَاعْبُدُونِي [الأنبياء: ٢٥] .

٢ ـ أنت تعلم أن كل شيء فيك قد خلقه ا   لحكمة، فعينك قد خلقت لحكمة ولم تخلق عبثاً، وكذلك أنفك، وفمك ، وأذنك حتى أصغر عرق فيك قد خلق لحكمة ولم يخلق عبثاً ، فممـا لا شك فيه أنك بأكملك قد خلقت لحكمة ولم تخلق عبثاً .قال تعالى : أَفَحَسِبْتُمْ أَنمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَق لَا إِلَهَ إِلا هُوَ رَب الْعَرْشِ الْكَرِيمِ [المؤمنون : ١١٥، ١١٦] .

ولكنك لن تعرف الحكمة؛ إلا بتعليم من خالقك بواسطة رسله.

وسكان الأرض اليوم كانوا قبل مائة عام في عالم الغيب ثم جاءوا إلى الدنيا، وهم بعد مائة عام على أكثر تقدير يخرجون منها .

ولن يعرف إنسان لماذا جاء إلى الدنيا ، أو لماذا يخرج منها إلا بتعليم من خالقه الذي خلقه ولم يك شيئاً، وجاء به إلى الدنيا حياً وقضى عليه بالموت والخروج من الدنيا.

ولقد أرسل ا   الرسل لتعليمنا هذه الأمور التي هي أخطر قضايا حياتنا والتي غابت عنـا ، وجهلناها .

١. وربنا الذي خلقنا أعلم بما يصلح أحوالنا ، ويزكي نفوسنا ، ويطهر أخلاقنا ، وقـد هدانا بواسطة رسله إلى كل ما فيه سعادة الدنيا والآخرة .قال تعالى : كَمَا أَرْسَـلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آَيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَـمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ [البقرة : ١٥١] .

٣ ـ وأرسل ا رسله لإنقاذ البشر من الاختلاف في أصول حياتهم ، وهدايتهم إلى الحـق الذي يريد خالقهم .

قال تعالى ": وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَـةً لِقَـوْمٍ يُؤْمِنُونَ [النحل : ٦٤] .

٤ ـ وأرسل ا الرسل لإقامة الدين وللحفاظ عليه والنهي عن التفرق فيه ، وللحكـم بمـا أنزل ا .

قال تعالى : شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْـكَ وَمَـا وَصَّـيْنَا بِـهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ [الشورى : ١٣] . إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا [النساء : ١٠٥] .

٥ ـ وأرسل ا الرسل لتبشير المؤمنين بما أعد لهم من نعيم مقيم جزاء طاعتهم، وإنـذار الكافرين بعواقب كفرهم ، وإسقاط كل عذر للناس ، وإقامة الحجة عليهم مـن ربهـم .قـال تعالى : رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا [النساء : ١٦٥] .

٦ ـ إعطاء الأسوة الحسنة للناس في السلوك القـويم ، والأخـلاق الفاضـلة ، والعبـادة الصحيحة ، والاستقامة على هدى ا .قال تعالى : لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا [الأحزاب : ٢١] .

وهذه التعاليم الإلهية العالية لا يمكن للبشر أن يصلوا إليها بعقولهم وإنما يتعلمونها بـوحي ا .

آيات صدقهم وبينات رسالتهم :

س : ما هي الأدلة التي زود ا رسله بها لئلا يكذبهم الناس ؟

ج : الأدلة والبراهين يسميها القرآن : (آيات) أي علامات ودلائل وبينات ، تصدق الرسـل فيما يقولون ، ويسميها الناس : معجزات .

س : وما هي المعجزة؟

ج : المعجزة (البينة ، البرهان ، الآية) هي : الأمر الذي يعجز البشر عن الإتيـان بمثلـه يجريه ا على يد نبي مرسل ليقيم به الدليل على صدق نبوته وثبات رسالته.

وكأن الرسول يقول للناس : أيها الناس لقد أرسلني ا إليكم وأعطاني أمارات من قدرته تصديقاً لي فيما أقول ؛ وهذه الأمارات والآيات مما لا يقدر عليها إلا ا . فلا يقدر أحد من البشر أن يأتي بمثلها؛ حتى لا تظنوا أني أفتري على ا الكذب. لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمْ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ [الحديد: ٢٥] .

س : ما هي أمثلة المعجزات التي أيد ا رسله بها ؟

ج : من الأمثلة التي ذكرها ا في كتابه ما حدث لسيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ مع قومه .

قال تعالى : قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنتُمْ فَاعِلِينَ(٦٨)قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ [الأنبياء : ٦٨، ٦٩] .

ومنها ما قصه ا علينا عن سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ قال تعالى : وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ [النمل : ١٢]

من هذه التسع الآيات ما حل بقوم فرعون من عذاب جزاء تكبرهم وكفرهم .قال تعالى : فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ [الأعراف:١٣٣] .

ومنها ما قصه ا علينا في بينات سيدنا عيسى عليه السلام .

قال تعالى : إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنْ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ [المائدة : ١١٠] .

ونتيجة لما حدث من تحريف في دين عيسى ـ عليه السلام ـ ظن الجهلة فيما عرفوا من بينات رسالته القوية أنها لا تكون إلى على يد ا أو ابنه في زعمهم، تعالى ا .

أما معجزات وبينات رسالة محمد صلى ا عليه وآله وسلم فسيأتي بيانها .

الخلاصة:

٢. يرسل ا الرسل لتعريف الناس بربهم ، ودعوتهم لعبادته ، ولبيان الحكمة من خلقهم ، ولإنقاذهم من ويلات الاختلاف ، ولإقامة الدين بين الناس والحكم بما أنزل ا ، ولتبشير المؤمنين بما أعد لهم ربهم من نعيم ، ولإنذار الكافرين من عواقب كفرهم ، ولإقامة حجة ا على الناس وليكونوا أسوة حسنة للمسلمين .

٣. يؤيد ا رسله ببراهين وأدلة تسمى في كتاب ا آيات وبينات ، ويسـميها النـاس معجزات ، تشهد للرسل بصدق رسالتهم وثبوت نبوتهم وأنهم مبلغون عن ربهم .

الفصل العاشر

مجمل آيات وبينات رسالة محمد

صلى ا عليه وسلم

آيات رسالة سيدنا محمد صلى ا عليه وآله وسلم :

س : ما هي الآيات (البينات ، المعجزات) التي أيد ا بها رسوله؟ محمداً صلى ا عليـه وآله وسلم ؟

ج : الآيات (البينات ، المعجزات) كثيرة لسيدنا محمد صلى ا عليه وآله وسلم ومنها :

١ ـ البشارات في الكتب السابقة :

لقد بشرت الكتب السابقة المنزلة بمحمد صلى ا عليه وآله وسلم قبل أن يخلق وأخبـرت بصفاته وصفات بلاده ، وقومه ، وزمانه .قال تعالى : الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْـأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ [الأعراف : ١٥٧] .

ولقد كان الأحبار والقسس من اليهود والنصارى ، يبشرون بمحمد صلى ا عليـه وآلـه وسلم قبل أن يبعثه ا ، قال تعالى محاجاً للعرب المشركين الذين سمعوا هذه البشارات من قبل من اليهود والنصارى : وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِـي إِسْرَائِيلَ [الشعراء : ١٩٦ ، ١٩٧] .

فلما بعث ا سيدنا محمداً صلى ا عليه وآله وسلم آمنت طائفة منهم وكفرت طائفة ، فأما من آمن فكان دافعهم الأكبر أن وجدوا العلامات والبشارات في كتبهم السابقة قد انطبقـت عليه صلى ا عليه وآله وسلم قال تعالى : الَّذِينَ آتَيْنَـاهُمُ الْكِتَـابَ مِـنْ قَبْلِـهِ هُـمْ بِـهِ يُؤْمِنُونَ [القصص:٥٢] .

(ولا يزال إسلام النصارى واليهود مستمراً إلى اليوم وخاصة بين العلماء المنصفين) .

٢ ـ المعجزة القرآنية :

لقد أرسل ا سبحانه محمداً صلى ا عليه وآله وسلم بكتاب من عنده فيه معجزات وآيات بينات، وعلامات إلهية كثيرة جداً لتكون بمقام الختم الإلهي المصدق لرسالته صلى ا عليه وآله وسلم وهذه الآيات (البينات ، المعجزات) القرآنية على أوجه كثيرة :

- فالقرآن آية بينة معجزة في فصاحة لفظه ، وأسلوبه ، وتركيبه ، وقد تحدى القرآن الإنسان والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن .

قال تعالى : قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الْإِنسُ وَالْجِنُ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَـأْتُونَ بِمِثْلِـهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا [الإسراء:٨٨] .

- والقرآن آية فيما اشتمل عليه من أخبار غيبية حدثت في الماضي السحيق وكانـت تدور في نفوس الناس وقت رسالته، وأخبار غيبته أخبر عنها ستكون في المستقبل فتحقق منها الكثير ، ولا تزال تتحقق كلما تقدم الزمان.قال تعالى : تِلْكَ مِـنْ أَنبَـاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَـذَا فَاصْـبِرْ إِنَ الْعَاقِبَـةَ لِلْمُتَقِينَ [هو : ٤٩] .
- والقرآن آية بينة معجزة في تأثيره على النفوس فتشعر حين تقرؤه بتأثير كبير فـي نفسك وتشعر أن الذي يحدثك هو ا سبحانه ، قال تعالى في وصفه لكتابه : اللـهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَهُـمْ ثُـمَ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلْ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ [الزمر:٢٣] .
- ويزداد التأثير بكتاب ا بزيادة التدبر والتفكير في آياته.
- والقرآن معجز بما احتوى من هدى وأحكام أخرجت خير أمة أخرجت للنـاس.قـال تعالى: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَاسِ تَأْمُرُونَ بِـالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَـوْنَ عَـنْ الْمُنكَـرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ [آل عمران : ١١٠] .
- ومن المستحيل أن يأتي أمي من الصحراء لا يقرأ ولا يكتب بأنظمة وأحكام وهـدى يخرج للناس خير أمة ، ويحكم كل البلدان على اختلاف درجات حضارتها ورقيها.
- والقرآن معجزة فيما احتوى من علوم وحقائق كلما تقدم الزمان كشـف عـن دقـة وصدق ما قرره القرآن الكريم.قال تعالى : سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِـهِمْ حَتَى يَتَبَيَنَ لَهُمْ أَنَهُ الْحَقُ [فصلت : ٥٣] .
- والقرآن معجز لكونه جاء بهذه العظمة في شتى الميادين على لسان أمي لا يقرأ ولا يكتب .

قال تعالى يصف رسوله صلى ا عليه وآله وسلم أمام أعدائه وأتباعه: وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ [العنكبوت : ٤٨] .

٣ ـ تأييد ا لرسوله صلى ا عليه وآله وسلم :

لم يؤمن برسول ا أول الأمر إلا قليل فآذاهم المشركون وعذبوهم ليفتنوهم فـي ديـنهم، وحاربوهم فكان ا يؤيد رسوله صلى ا عليه وآله وسلم وينصره على أعدائـه بإرسـال الملائكة على الكافرين مما كان الكفار يشاهدونه فيقول المنصفون منهم: ما أرسل هـذا إلا ا .

ولقد أيد ا رسوله صلى ا عليه وآله وسلم بإخراج الماء من بين أصابعه حتـى شـرب القوم جميعاً ، أو بتكثير الطعام القليل حتى كفى كثيراً من المسلمين ، أو بشفاء من يدعو له ، أو بتكليمه للشجر وشهادتها له بالنبوة ؛ وغير ذلك من المواقف المدهشة المعجزة .

٤ ـ إجابة ا لدعائه صلى ا عليه وآله وسلم :

فما دعا ا في شيء إلا أجاب ا دعاءه وحققه .

فلما أظهر الرسول صلى ا عليه وآله وسلم هذه الآيات والبينات تحول الكفار من عداواتهم وكفرهم إلى الإسلام والإيمان الصادق والجهاد بأموالهم وأنفسهم في سبيل إعلاء كلمة ا .

قال تعالى : وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلا الْفَاسِقُونَ [البقرة : ٩٩] .

الخلاصة

- أيد ا رسوله محمداً صلى ا عليه وآله وسلم ببينات ، وآيات معجـزات حتـى لا يكذبه الناس .
- أخبرت الكتب بمجيء سيدنا محمد صلى ا عليه وآله وسلم وبعلامـات زمانـه ، وبلاده ، وأحواله مع قومه؛ فجاء محمد صلى ا عليه وآله وسلم فانطبقت عليـه تلك العلامات فآمن المنصفون من أهل الكتب بمحمد صلى ا عليـه وآلـه وسـلم واتبعوه كسلمان الفارسي وعبدا بن سلام ـ رضي ا عنهما ـ .
- أنزل ا على سيدنا محمد صلى ا عليه وآله وسلم كتاباً معجزاً في فصاحة لفظـه وأساليبه ، وفيما احتوى عليه من علوم غيبية ، وفي قوة تأثيره ، وفيما تضمن من حقائق كونية أثبت التقدم العلمي في أسرار الكون صدق ما قـرره القـرآن ، وفـي نزوله بهدي أخرج خير أمة عرفتها البشرية، وبكونه نزل على أمي لم يقـرأ ولـم يكتب .
- أيد ا رسوله صلى ا عليه وآله وسلم ضد أعدائه وأعز رسوله بما أيده به مـن الخوارق والمعجزات الكثيرة.

كان رسول ا صلى ا عليه وآله وسلم مجاباً في دعوته لربه ، فما دعـا إلا وأجـاب ا دعاءه ﷺ.

الفصل الحادي عشر

فصاحة القرآن وبلاغته

كلام ا شاهد برسالة سيدنا محمد صلى ا عليه وآله وسلم :

س : هل يشهد كلام ا لمحمد صلى ا عليه وآله وسلم بالرسالة؟

ج : نعم ، فالقرآن يذكر أن محمداً رسول ا .

قال تعالى : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِداءُ عَلَى الْكُفارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ [الفتح:٢٩] .

س : هذا كلام يقنع المؤمن بأن القرآن كلام ا . فكيف بالذين لا يؤمنون بأن القرآن كـلام ا ؟

ج : القرآن نفسه يقنعه بأنه كلام ا ؟

س : وكيف ذلك؟

ج : إن كلام الخالق لا بد أن يختلف عن كلام البشر ، فإذا تأمل عاقل بإنصـاف فـي كـلام الناس ، وفي كلام ا المكتوب في القرآن ، فسيجد خصائص الكلام الإلهي واضحة بينـة ، كما سيرى الفرق الكبير بين كلام البشر وكلام ا ، وسيعرف عندئذ أن القرآن الذي يشـهد لمحمد صلى ا عليه وآله وسلم بالرسالة إن هو إلا وحي يوحى وليس حديثاً مفترى.

بلاغة القرآن وفصاحته:

س : ما هي الخصائص والصفات التي امتاز بها القرآن على كل كلام بشري؟

ج : ما امتاز به القرآن (الكلام الإلهي) عن الكلام البشري كثير نذكر منه :

بلاغة القرآن ، وفصاحته التي أعجزت الأولين والآخرين والتي ما كان يسمعها أحـد مـن فصحاء العرب ـ زمن الرسالة ـ إلا ودخل الإسلام في قلبه ، وعرف أن القرآن كـلام ا ، لا يقدر أحد أن يأتي بمثله ، مهما بلغ من العلم ، والفصاحة ، فيعلم أنه لم يجره على لسان الأمي الذي لم يقرأ ولم يكتب أحد إلا ا سبحانه وتعالى .

ولذلك فقد اجتمع الكفار ، وتدارسوا فيما بينهم ، كيف يقاومون تأثير القرآن في أنفسـهم؟ فقرروا أن يسمعوا فصاحة القرآن وبلاغته: سحراً من سمعه سحرته. قال تعالى حاكياً مـا قاله الوليد بن المغيرة (مستشار) الكفار في هذا الأمر:

ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ [المدثر : ٢٣-٢٥] .

فكان وصفهم لكلام ا بالسحر أول وسيلة لمقاومة تأثيره في نفوسهم . والوسيلة الثانيـة منع كل واحد منهم أن يستمع للقرآن . قال تعالى : وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْـمَعُوا لِهَـذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ [فصلت: ٢٦].

وذلك خشية أن يعرف العرب معجزة القرآن الظاهرة في بلاغته المؤثرة في النفوس والعقول فيشهدوا أن محمداً صلى ا عليه وآله وسلم رسول ا .

وقد أسلم أكثر المشركين عندما سمعوا شيئاً من كتاب ا أما من بقي على كفره، فلم ينكـر بلاغة القرآن وفصاحته التي لا تدانيها أي بلاغة إنسانية، وإنما سمعوا ذلك سحراً يسحر من سمعه. وهي شهادة في نفس الوقت بعظمة القرآن وسموه على كل كلام .

س : ولماذا لا ندرك نحن في هذا الزمان بلاغة القرآن وفصاحته كما كان الســابقين مـن العرب.

ج : السبب أن القرآن كان مفهوماً لديهم فهو قد نزل بلغتهم أما نحن فقد بعدنا عـن اللغـة العربية الفصحى التي بها نزل القرآن ، فأصبحنا لا نفهم كثيراً من كلمات القرآن إلا بصعوبة بالغة لكن من تعلم اللغة العربية وأجاد فنونها ، وقرأ كتاب ا عرف أن بلاغة القرآن فوق بلاغة كلام البشر وأنه لا يقدر على تلك البلاغة إلا الخالق القوى الخالص والقـادر ، ومـع ذلك فهناك علامة إلهية في كل سورة من كتاب ا يدركها العالم والجاهل ، ويعرف بهـا أن القرآن كلام الخالق الذي يخالف كلام جميع المخلوقين.

القرآن لا يخلق على كثرة الرد:

س : وما هي هذه المعجزة الإلهية التي يراها ويدركها العالم والجاهل في كتاب ا ؟

ج : تلك المعجزة هي : أن هذا القرآن جديد دائماً لا يبلى مهما كرره الإنسان ورddه. إن أي قطعة نثرية أو شعرية من كلام البشر لا تلبث أن تبلى إذا كررت على مسمع الإنسان مرتين أو ثلاثاً في اليوم وتصبح ممجوجة مملة إذا كررت عليه في كل يوم ثلاث مرات لمدة شهر. وهذا ينطبق على كل قول من أقوال البشر، ويعرف المغنون ذلك فيشترطون على الإذاعـات عدم إذاعة أغانيهم كل يوم حتى لا تبلى تلك الأغاني وتمل .

أما كلام ا فالبرغم من أنه يتكون من نفس الأحرف التي يتكون منها كلام الناس ، ويتركب من نفس الكلمات ، فإن كل مسلم يعرف أنه يردد فاتحة الكتاب كل يوم - إذا صلى الفروض فقط - سبع عشرة مرة . أما إذا صلى السنن يرددها أكثر من واحد وثلاثين مرة كل يـوم . وليس لمدة شهر فقط ، بل طوال العمر كله . فما شعر مسلم يوماً ما أن الفاتحة قد أبلاهـا الترديد وأصبحت قديمة كما هو الحال في كلام البشر.

وبالمثل كل ما يكرره المسلمون من قصار السور وكذلك كل سورة من سور القرآن نقرؤها ونكرر قراءتها مرات ومرات ، فلا نشعر أبداً أنها قد بليت. بل لا يزال كلام ا طرياً جديداً.

شهادة بعض المنصفين الأوربيين:

س : وما هو موقف غير المسلمين من هذا؟

ج : إن من يدرس القرآن يعرف ما عرفنا ، ويرى آيات ربه ظاهرة في كتابه.

وقد درس القرآن جماعة من المستشرقين وغيرهم، بقصد الطعـن فيـه لحسـاب دولهـم المستعمرة . لكن المنصفين منهم لم يلبثوا أن فارقوا دينهم ودخلوا في ديـن ا . بعـد أن عرفوا أنه الدين الحق وهذا بعض ما قاله المنصفون من الأوربيين في القرآن:

١. قال المستشرق (سيل) : " إن أسلوب القرآن جميل وفياض ومن العجيب أنه يأسـر بأسلوبه أذهان المسيحيين فيجذبهم إلى تلاوته سواء في ذلك الـذين آمنـوا بـه أم الذين لم يؤمنوا به وعارضوه".

٢. وقال (هرشفلد): " ليس للقرآن مثيل في قوة إقناعه، وبلاغته وتركيبه، وإليه يرجع الفضل في ازدهار العلوم بكافة نواحيها في العالم الإسلامي".

٣. وقال الدكتور (موريس) الفرنسي : "إن القرآن أفضل كتاب أخرجته العناية الأزليـة لبني البشر، وإنه كتاب لا ريب فيه".

٤. وقال المستشرق (ليون) : "حسب القرآن جلالة ومجداً أن الأربعة عشر قرناً التـي مرت عليه، لم تستطع أن تخفف ولو بعض الشيء من أسلوبه الذي لا يزال غضـاً كأن عهده بالوجود أمس" .

(القرآن يتحدى والبشر يعجزون) :

س : وهل تحدى القرآن الناس أن يأتوا بسورة من مثل سوره؟

ج : نعم ، لقد تحدى القرآن المرتابين المتشكيين وطالبهم أن يتركوا القتال والحـرب ضـد الإسلام والصراع الذي تزهق فيه الأنفس، وتضيع فيه الأموال وأن يأتوا بمثل سـورة مـن القرآن ، ويدعوا من شاءوا من أنصارهم للتحكيم، فإن قدروا كان القرآن من عنـد محمـد البشر، وإن لم يقدروا ـ ولم يقدروا ـ عرفوا أن القرآن من عند ا أوحى به إلى رسـوله محمد صلى ا عليه وآله وسلم فليحذروا عقابه . قال تعالى : وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِما نَزلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ فَـإِنْ لَـمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتقُوا النارَ التِي وَقُودُهَا الناسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدتْ لِلْكَافِرِينَ [البقرة : ٢٣ ، ٢٤] .

س : ما هو موقف الناس من تحدي القرآن لهم ؟

ج : موقفهم العجز الكامل ـ كما أخبر القرآن ـ حتى إن أشد أعداء الرسول صلى ا عليه وآله وسلم من الكفار لم يجدوا أمامهم إلا أن يقاتلوا في ميادين الحرب لعجـزهم أن يـأتوا بمثل سورة من القرآن .

الخلاصة

٥. القرآن كلام ا يشهد لمحمد صلى ا عليه وآله وسلم أنه رسول ا .

٦. في القرآن معجزات إلهية تدل على أنه كلام ا منها فصاحته وبلاغته التي أعجزت الأولين والآخرين.

٧. ومنها أنه جديد دائماً لا يبلى على كثرة ترديده وتكريره.

ولقد شهد بذلك المنصفون من علماء أوربا وعرفوا عظمة القرآن وسموه على كل كلام.

٨. ولقد تحدى القرآن البشر أجمعين أن يأتوا بسورة منه إن كانوا مرتابين في أنه كلام ا فعجزوا وما زالوا عاجزين حتى تقوم الساعة.

الفصل الثاني عشر:
القرآن يسبق العلوم الحديثة

القرآن كتاب هداية :

س : لماذا أنزل ا القرآن؟

ج : أنزل ا القرآن لهداية البشر ، فالقرآن كتاب هداية وليس القرآن كتاباً طبياً أو هندسياً أو فلكياً أو كيماوياً ، يجمع ويسجل حقائق هذه العلوم ، إنما هو كتاب هداية إلهية لسلوك الإنسان وعمله.

القرآن نزل بعلم ا :

س : فما معنى إذاً أن القرآن سبق العلوم الحديثة؟

ج : معنى ذلك أن القرآن ، وهو يتحدث عن الإنسان أو عن النبات ، أو عن أي مخلوق من المخلوقات إنما يصفه على حقيقته ، لكن علم البشر يكون قاصراً على إدراك تلك الحقيقة . فإذا بالتقدم العلمي ، والاكتشافات المتزايدة بواسطة الآلات والأجهزة الحديثة تكشف عن تلك الحقيقة فإذا بالحقيقة واحدة في كتاب ا ، وفي الكشف العلمي ، فنعرف من ذلك أن القرآن الكريم سبق العلوم الحديثة. ويكون ذلك شاهداً جديداً أو معجزة جديدة تظهر للقرآن في عصر التقدم العلمي. وهكذا نعرف أن القرآن إنما نزل بعلم ا ، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

القرآن يخبر بضيق الصدر في طبقات الجو العليا قبل الطيارين:

س : وما هو المثال على ذلك ؟

ج : الأمثلة كثيرة منها ما اكتشفه الطيارون على ارتفاعات عالية من ضيق يجدونه في صدروهم يزداد شدة كلما صعدوا في السماء حتى يصل إلى درجة الاختناق . وذلك بسبب تناقص الهواء (الأكسجين) عن الكمية اللازمة كلما ازداد الإنسان ارتفاعاً في السماء. وهذه

الحقيقة لم تكن معروفة من قبل. إذ أن الناس جميعاً كانوا يعتقدون أن الهواء يمتد بصفاته هذه إلى الكواكب والنجوم . والقرآن يذكر هذه الحقيقة قبل أن يعرفها البشر جميعاً بما يقرب من أربعة عشر قرناً من الزمان. قال تعالى : فَمَنْ يُرِدْ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيقًا حَرَجًا كَأَنمَا يَصعدُ فِي السمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرجْسَ عَلَى الذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ [الأنعام : ١٢٥] .

أي من استحق أن يضله ا بأعماله السيئة ، ومحاربته للدين ، جعل ا صدره ضيقاً بالموعظة أو ما يذكره بالإسلام كضيق ذلك الذي يصعد في السماء . والبشر كلهم كانوا يجهلون هذه الحقيقة: حقيقة حدوث الضيق الشديد لمن يصعد في السماء. ولم تعرف هذه الحقيقة إلا بعد أن صعد الإنسان بالطائرات إلى السماء[٢]. فهل كان لمحمد صلى ا عليه وآله وسلم طائرة خاصة به من دون الناس، عرف بها هذه الحقيقة أم أنه الوحي الذي نزل بعلم ا ؟!

القرآن يخبر بتركز الإحساس في الجلد قبل المشرحين[٣]

س : وهل هناك مثال آخر؟

ج : نعم... الأمثلة الأخرى كثيرة نذكر منها مثالاً من أسرار التركيب في جسم الإنسان.

س: وما هو؟

ج : كان المعتقد أن الإحساس من صفات الجسد بكل أجزائه وأنه متساو في درجة إحساسه بالأشياء ، لكن علم التشريح الحديث جاء بحقيقة جديدة كان الناس جميعاً يجهلونها هي : أن مراكز الإحساس بالألم وغيره إنما تتركز بالجلد بكمية كبيرة ، حتى أن الإنسان لا يشعر بألم وخز الحقنة (الإبرة) إذا أدخلت في جسمه إلا عند دخولها في منطقة الجلد ، لكن القرآن يذكر هذه الحقيقة قبل علماء التشريح في القرن العشرين .

قال تعالى : إِن الذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِن اللهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا [النساء:٥٦]

أي أن الإحساس بالألم والعذاب يتركز في جلودهم فإذا نضجت استراحوا من عذاب النار ، لكن العليم الخبير بخلقه يعلم ذلك ويخبرنا قبل أن نعرفه ويقول إنه سيبدلهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب .

فهل كان لمحمد صلى ا عليه وآله وسلم أجهزة تشريحية خاصة به دون الناس؟ أم هذه آية من آيات ا تشهد أن القرآن كلام ا قد نزل بعلمه سبحانه وصدق ا العظيم القائل:

سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ [فصلت: ٥٣]

الخلاصة

- تضمن القرآن حقائق لم تعرف إلا بعد قرون من نزوله .
- منها ما أخبر به القرآن من ضيق صدر من يرتفع في السماء ، وتركـز الإحسـاس بالألم والعذاب في الجلد وجاءت علوم القرن العشرين تؤكد وتصدق مـا جـاء فـي كتاب ا .
- تشهد هذه الحقائق التي كشف التقدم العلمي اليوم عن صدقها أن القرآن كـلام ا ووحيه إلى رسوله محمد صلى ا عليه وآله وسلم .

الفصل الثالث عشر

الإيمان باليوم الآخر

إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ [غافر:٢٧] .

الحياة البشرية قسمان:

س : إلى كم تنقسم حياة قصيرة في دار العمل ، وحياة خالدة في دار الجزاء .

دار العمل :

س : ما هي دار العمل؟

ج : دار العمل هي هذه الأرض التي نعيش عليها اليوم مدة مؤقتة من الزمان؛ هي المهلـة المعطاة لنا لنفعل فيها ما نشاء من أعمال، ونعيش عليها المدة المحددة لنا كما عاشت الأمم السابقة من قبلنا . قال تعالى :

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِـنْهُمْ قُـوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَـاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا [فاطر:٤٤، ٤٥] .

وكلما مر يوم نقصت المهلة ، وقربنا من دار الجزاء ، فإذا انقضت المهلة أصبحت حياتنـا الماضية في نظرنا لا تساوي ساعة .

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلا سَاعَةً مِنْ النَهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الـذِينَ كَـذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ [يونس:٤٥] .

دار الجزاء:

س : وما هي دار الجزاء؟

ج : دار الجزاء هي : الدار الآخرة حيث يجد الإنسان نتيجة ما قدمت يداه في دنياه ، وجاء ما عمله فيما أعطاه ا ، والموت : انتقال من دار العمل إلى دار الجزاء. فهذا الجيل الـذي نعيش فيه ينتقل بعد مائة عام ـ على أكثر تقدير ـ كله ، وأنت واحد منه ليجد كل إنسـان جزاء عمله . قال ا تعالى :

قُلْ يَتَوَفاكُمْ مَلَكُ المَوْتِ الذِي وُكلَ بِكُمْ ثُم إِلى رَبكُمْ تُرْجَعُونَ وَلَوْ تَرَى إِذْ المُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبهِمْ رَبنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنا مُوقِنُونَ [السـجدة : ١١، ١٢] .

وَوُفيَتْ كُل نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ وَسِيقَ الذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنمَ زُمَرًا حَتـى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَـيْكُمْ آيَـاتِ رَبكُـمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلى وَلَكِنْ حَقتْ كَلِمَةُ العَذَابِ عَلى الكَافِرِينَ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى المُتَكَبرِينَ وَسِيقَ الذِينَ اتقَوْا رَبهُمْ إِلى الجَنةِ زُمَرًا حَتـى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ وَقَالُوا الحَمْدُ للهِ الذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوأُ مِنْ الجَنةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْـرُ العَـامِلِينَ وَتَـرَى المَلائِكَةَ حَافينَ مِنْ حَوْلِ العَرْشِ يُسَبحُونَ بِحَمْدِ رَبهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالحَق وَقِيلَ الحَمْـدُ لِلـهِ رَب العَالمِينَ [الزمر: ٧٠-٧٥] .

اليوم الآخر مقتضى العدل الإلهي :

س : وما هو دليل المؤمن على إيمانه باليوم الآخر؟

ج : أهم الأدلة على أن رسل ا جميعاً ، الذين قدموا للبشرية أدلة صدقهم قد بلغـوا إلينـا كلام خالقنا ، وخالق الجنة والنار ، وأخبرنا ا بنفسه ، بحقائق اليوم الآخر. وهناك أدلـة عقلية أخرى .

س : ما هي هذه الأدلة العقلية؟

ج : هي كثيرة ، نذكر منها : دليل العدل الإلهي .

س : وما هو دليل العدل الإلهي ؟

ج : في الإنسان حب العدل ، هو الذي يجعله يكره الظلم ويحب العدل وخالق حب العدل في الإنسان هو ا خالق الإنسان ، ومما لا شك فيه أن الخالق أكمل وأعظم من مخلوقاته ، وله المثل الأعلى .

إذن

- عدل ا أكمل من عدل مخلوقاته الإنسان .
- فإذا كان عدل الإنسان يأبى التسوية بين الظالم والمظلوم ، والقاتل والمقتول، والمطيع والعاصي.

إذن

- لا شك أن العدل الإلهي – من باب أولى – يأبى التسوية بين الظالم والمظلوم، والقاتل والمقتول، والمطيع والعاصي، والمؤمن والكافر، والبر والفاجر. قال تعالى:

وَمَا خَلَقْنَا السمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَن الذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلذِينَ كَفَرُوا مِنْ النارِ أَمْ نَجْعَلُ الذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتقِينَ كَالْفُجارِ [سورة ص: ٢٧ ، ٢٨] .

ولكنا لا نجد عدلاً كاملاً في الدنيا ، ولا نجد إنصافاً كاملاً أو مجازاة وافية على أعمال الناس في الدنيا. فلا نشك في عدل ا الذي قام الدليل القاطع عليه ، ولكنا نقول ونؤمن بأن الحساب لا يكون في هذه الدنيا ، وأنه مؤخر ليوم معلوم يوم الحساب كما أخبر الرسل .

الخلاصة

تنقسم الحياة البشرية إلى قسمين : دار عمل قصيرة ، ودار جزاء خالدة ، هذه الدنيا هي دار العمل ، والآخرة دار الجزاء ، والموت ينقلنا من دار العمل إلى دار الجزاء .

من عمل صالحاً في الدنيا أثابه ا عليه ، ومن عمل سيئاً عاقبه ا عليه وأرسل ا إلى البشر رسلاً أقاموا الأدلة على صدق رسالتهم وبلغوا إلى البشر كلام ربهم الذي عرفهم باليوم الآخر وما أعد لهم فيه .

عدل ا أكمل من عدل الإنسان ، ومن مقتضى العدل : عدم التسوية بين المسيء والمحسن . وليس في الدنيا ثواب كامل لمحسن ، أو عقاب كامل لمسيء . فجعل ا يوماً كاملاً لمكافأة المحسنين وعقاب الكافرين .

الفصل الرابع عشر
من أحوال اليوم الآخر

حياة البرزخ :

س : ما معنى البرزخ؟

ج : البرزخ هو الحاجز.

س : وما معنى حياة البرزخ؟

ج : حياة البرزخ هي الحياة التي نقضيها في عالم البرزخ حتى تقوم القيامة . حين يبعـث ا الناس لتوفية الحساب . قال تعالى :

حَتى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمْ الْمَوْتُ قَالَ رَب ارْجِعُونِي لَعَلي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلا إِنهَا كَلِمَـةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] .

س : وهل من ثواب أو عقاب في البرزخ على الأعمال في الدنيا؟

ج : نعم .. يبدأ الحساب في الحياة البرزخية في بداية الانتقال إليها ومنها عذاب القبر . قال تعالى :

النارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوا وَعَشِـيا وَيَـوْمَ تَقُـومُ الس ـاعَةُ أَدْخِلُـوا آلَ فِرْعَـوْنَ أَشَـد الْعَذَابِ [غافر:٤٦] .

وقال تعالى في وصف حياة الشهداء في الحياة البرزخية قبل يوم القيامة:

وَلا تَحْسَبَن الذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمْ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلا خَـوْفٌ عَلَـيْهِمْ وَلَا هُـمْ يَحْزَنُونَ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠] .

البعث والنشور :

س : وماذا بعد حياة البرزخ؟

ج : يبعث ا الناس ليوم القيامة وتوفية الحساب.

إِن يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا [النبأ: ١٧، ١٨] .

عرض الأعمال:

س : وماذا بعد الحشر وجمع الناس ليوم القيامة؟

ج : ثم تعرض الأعمال في الكتاب .

قال تعالى :

وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا [الكهف:٤٩] .

كما تشهد علينا الألسنة والأيدي والأرجل والجلود . وتخبر بما فعلنا في الدنيا.

حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [فصلت: ٢٠، ٢١] .

الميزان :

س : وما هو ميزان يوم القيامة؟

ج : يضع ا الموازين العادلة يوم القيامة لقياس الحسنات والسيئات.

وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ [الأنبياء : ٤٧] .

فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ [المؤمنون : ١٠٢، ١٠٣] .

الحوض :

س : وما هو الحوض؟

ج : لكل نبي حوض يشرب هو وأمته منه بعد الموقف وقبل دخول الجنة ولنبينا محمد صلى ا عليه وآله وسلم ، ماؤه أبيض من اللبن ، وأحلى من العسل، وأطيب من المسك. من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً .

الصراط:

س : وما هو الصراط؟

ج : هو طريق يوضع على ظهر جهنم يمر عليه الأولون والآخرون بعد انصرافهم من الموقف ، فأهل الجنة يمرون عليه وهم متجهون إليها ، وأهل النار يسقطون فيها . قال تعالى: وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا [مريم: ٧١، ٧٢]

الجنة:

س : ما هي الجنة؟

ج : الجنة هي المقر الأخير للمؤمنين ، وهي أمنية كل مؤمن حيث يجد الجزاء على إيمانه الصادق وأعماله الصالحة . قال تعالى : وَبَشِّرْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [البقرة:٢٥]

النار:

س : ما هي النار؟

ج : إذا كان ا يكافئ الأبرار بالنعيم ، فإنه يجازي الفجار بالجحيم عقاباً لهم على ما اقترفوا من كبائر الإثم والفواحش. قال تعالى: وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ

[القارعة:٨-١١] . أي أن مصير من قلت أعماله الصالحة فخف ميزانه بها مصيره الهاوية التي هي النار الحامية.

الخلاصة

- ينتقل الإنسان بعد موته إلى الحياة البرزخية التي يجد فيها شـيئاً مـن النعـيم أو العذاب.
- يبعث ا الناس بعد الحياة الدنيا جميعاً ليوم الحساب.
- ثم تعرض أعمالهم على الدنيا .
- توزن أعمال الناس فمن خفت موازينه بأعمال الخير كان مصيره جنهم.
- لكل نبي حوض يشرب منه هو وأمته بعد الموقف ولنبينا حوض ماؤه أبـيض مـن اللبن وأحلى من العسل وأطيب من المسك.
- الجنة دار النعيم للمؤمنين .
- النار دار العذاب للمنافقين والكافرين .

الفصل الخامس عشر :
الإيمان بالملائكة الكتب والرسل

الإيمان بالملائكة:

س : من هم الملائكة؟

ج : هم مخلوقات نورانية ، ليسوا كالبشر يأكلون ، ويشربون ، وينامون ، ويتصفون بالذكورة أو الأنوثة ، إنما هم عالم آخر ، قائم بنفسه ومستقل بذاته ، ولا يتصفون بصفات البشر الجسدية والمادية .

س : مم خلقوا ؟

ج : خلق ا الملائكة من نور ، قال عليه الصلاة والسلام : "خلقت الملائكة من نور"[٤].

س : ما هو عملهم؟

ج : يقومون بتصريف شئون العالم بإرادة ا ومشيئته ، وهو سبحانه يسخرهم لتنفيذ أمره ، وهم لا يعلمون شيئاً إلا بأمره. قال سبحانه وتعالى :

بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ [الأنبياء: ٢٦، ٢٧].

ومن أعمالهم :

١. التسبيح والخضوع التام .
٢. النزول بالوحي .
٣. كتابتهم للأعمال.

قال تعالى :

وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ [الانفطار: ١٠-١٢] .

٤. يتوفون الأنفس ويقبضون الأرواح.

س : هل الإيمان بهم واجب؟

ج : نعم .. لقد أخبرنا عنهم ربنا وربهم في كتابه ، فالإيمان بهم واجب وركن من أركان الإيمان. قال تعالى :

آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ [البقرة : ٢٨٥] .

الإيمان بالكتب:

س : على من أنزلت الكتب الإلهية؟

ج : على الأنبياء والمرسلين . قال تعالى :

فَبَعَثَ اللهُ النبيينَ مُبَشرينَ وَمُنذِرينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمْ الكِتَابَ بِالحَق لِيَحْكُمَ بَيْنَ النـاس فِيمَـا اخْتَلَفُوا فِيهِ [البقرة: ٢١٣] .

س : وهل هذه الكتب جميعاً مكتوبة ومدونة إلى اليوم؟

ج : الكتب التي دونت هي : صحف إبراهيم ـ عليه السلام ـ ، وتوراة موسـى ـ عليـه السلام ـ ، وزبور داود ـ عليه السلام ـ ، وإنجيل عيسى ـ عليه السلام ، والقرآن الذي نزل على سيدنا محمد صلى ا عليه وآله وسلم .

س : وهل لا تزال هذه الكتب الإلهية جميعاً مدونة كما أنزلت؟

ج : لا .. فقد دخلها التحريف والتبديل ما عدا القرآن الكريم الذي حفظه ا .

فالتوراة المتداولة لدى اليهود غير التوراة المتداولة لدى النصارى. وليس لدى الجميع سند صحيح أنها توراة موسى عليه السلام.

والإنجيل حرف وبدل فيوجد لدى النصارى أربعة أناجيل، اختصرت من سبعين إنجيلاً . وقد ظهر إنجيل خامس هو إنجيل (برنابا) يخالف بقية الأناجيل مخالفة كبيرة ، وقد ظهرت مخطوطات تاريخية في (البحر الميت) جعلت كثيراً من علماء النصارى اليوم يعلنون شكهم في صدق أناجيلهم . وأما صحف إبراهيم وزبور داود ـ عليهما السلام ـ ، فقد دخلهما تبديل وتحريف ويكادان أن ينعدما . وقد احتوى القرآن الكريم على كل ما سبقه من هدى . فكان القرآن هو الكتاب الإلهي المصدق لما قبله والمهيمن عليه . قال تعالى : وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَق مُصَدقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ [المائدة: ٤٨].

س : ما موقف المسلم من الكتب السابقة؟

ج : على المسلم أن يؤمن بجميع الكتب السابقة المدونة وغيرها كما أنزلها ا وأن يصدق بنزولها .

ويؤمن أن ا قد هداه بالقرآن الذي اشتمل على ما فيها من هدى ،و سلم من التحريف والتبديل الذي أدخله الناس على الكتب السابقة . ومن لم يؤمن بالكتب التي أنزل ا فقد انهدم ركن من أركان إيمانه . وكذب بالقرآن الذي أخبر بها .

الإيمان بالرسل:

س : هل أرسل ا الرسل لأمم خاصة؟

ج : لا .. فما من أمة إلا وأرسل ا لها رسلاً يبشرونها وينذرونها ويهدونها إلى طريق ا . قال تعالى :

وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ [فاطر:٢٤] . وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ [الرعد: ٧] .

س : وهل ذكر القرآن جميع الرسل؟

ج : لا .. إنما قص القرآن علينا أمثلة من حياة بعض الرسل للعبرة ، لا للحصر.

قال تعالى : إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا [النساء: ١٦٣، ١٦٤] .

س : وهل كان ا يرسل إلى الناس كافة أم إلى قومهم خاصة؟

ج : كان ا يرسل الرسل إلى أقوامهم خاصة حتى بعث خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى ا عليه وآله وسلم فأرسله ا إلى الناس عامة . قال تعالى : قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [الأعراف: ١٥٨] .

س : كم عدد الأنبياء؟

ج : لا يعلم عددهم إلا ا .

س : كم عدد المذكور منهم في القرآن؟

ج : المذكور منهم في القرآن خمسة وعشرون نبياً .

س : هل يجب علينا أن نؤمن بجميع الأنبياء والمرسلين؟

ج : نعم .. علينا أن نؤمن أن ا أرسل رسلاً وبعث أنبياء نحن نؤمن بهم كما أخبرنا القرآن الكريم: وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ [البقرة: ٢٨٥] .

س : ما معنى أن محمداً صلى ا عليه وآله وسلم خاتم النبيين والمرسلين .

ج : معنى ذلك أن ا قد أكمل الدين وأتم نعمته على الناس أجمعين وحفظ كتابه من التحريف والتبديل.

فلا حاجة لنبي أو رسول إلى أن تقوم الساعة . ومحمد هو خاتم الأنبياء والمرسلين؟

مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا [الأحزاب: ٤٠] .

الخلاصة

خلق ا الملائكة من نور، وليسوا كالبشر في صفاتهم ، وخصائصهم وينفذون ما يـأمرهم ا به . ومن أعمالهم التسبيح ، والخضوع التام ا ، النزول بالوحي، كتابـة الأعمـال ، توفي الأنفس .

أنزل ا كتباً على أنبيائه ورسله : والمدون منها : صحف إبـراهيم ، وتـوراة موسـى ، وزبور داود ، وإنجيل عيسى ، والقرآن الكريم ، وقد حرفت الكتب السابقة وحفظ القرآن من أي تحريف .

أرسل ا إلى كل أمة وقص القرآن علينـا بعضـهم ويبلـغ عـدد الأنبيـاء والمرسـلين (١٢٤,٠٠٠) نبي ورسول ، وخاتمهم هو محمد صلى ا عليه وآله وسلم[٥] .

الإيمان بالملائكة ، والكتب السابقة ، والمرسلين ، ثلاثة أركان من أركان إيمان المسـلم، لا يتم إيمانه إلا بها.

الفصل السادس عشر:

الإيمان بالقدر

القدر:

س : ما هو القدر؟

ج : القدر هو ما قدره ا في الأشياء من مقادير محددة تجري وفق ما قضى ا بـه مـن نظام لسير الكون . قال تعالى : سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَـقَ فَسَـوَّى وَالَّـذِي قَـدَّرَ فَهَدَى [الأعلى : ١-٣].

وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا [الفرقان: ٢] . وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ [الرعد:٨] .

قدر ضار وقدر نافع:

س : ما موقف المؤمن من القدر؟

ج : موقف المؤمن من الإيمان بالقدر خيره وشره من ا سبحانه لأن المـؤمن يعـرف أن مقدر الأقدار في المخلوقات هو ا الحكيم العليم الخبير ، وأن جهل الإنسان بحكمة ا فـي قدر من الأقدار إنما ذاك لقصور في علم الإنسان . وكل يوم يزداد علم الإنسان علماً بتلـك الأقدار الحكيمة.

س : وهل هناك حكمة من قدر الشر؟

ج : ألا ترى أن أي حكومة وهي تضع المكافآت للمواطنين وتسن القوانين الخاصة بها التي ينتفع منها الناس. وفي الوقت نفسه تسن قوانين العقوبات وتنفيذها. إن قوانين العقوبـات شر ولكن لها حكمة قد تغيب عن كثير من الجهلة. والطبيب يقطع بطن المـريض فـإذا رآه الجاهل حسبه عدواً للمريض . ولكنه يقطع بطن المريض لحكمة غابت عن ذلك الجاهل.

ولولا قدر الجوع ما عمل الناس شيئاً لينالوا قدر الأكل. ولولا قدر المرض لما مـات أحـد، ولما شعر أحد بنعمة الصحة. ولولا قدر الحياة ما جاء أحد إلى الأرض، ولولا قدر المـوت لتزاحم الأولون والآخرون على هذه الأرض.

س : ما هي أقدار الخير وأقدار الشر؟

ج : كل ما ينفعك كالطعام والشراب والدواء والعلم؛ أقدار من أقدار الخير. وكل ما يضـرك من أقدار كالجوع والعطش والمرض، والجهل، أقدار من أقدار الشر.

س : وماذا يعمل الإنسان مع الأقدار؟

ج : إن ا قد منح الإنسان سمعاً وبصراً وعقلاً ، وأنزل ا كتاباً يهديه إلى الخيـر. وكـل هذه المواهب الإلهية تعرف الإنسان بأقدار الخير وتدعوه للانتفاع بها. وتبين له أقدار الشر وتحذره منها . فعلى الإنسان أن ينتفع بأقدار الخير ويتجنب أقدار الشر. وأن يدفع قدر الشر بقدر الخير كأن يدفع قدر الجوع بقدر الأكل وقدر المرض بقدر الدواء وهكذا.. وبهذا أمرنـا ا في كتابه . فمن خالف هدى ربه ولم ينتفع بأقدار ا النافعة ولا بسمعه وبصره وعقلـه فهو عدو نفسه.

س : هل الإيمان بالقدر واجب؟

ج : نعم .. الإيمان بالقدر واجب وهو ركن من أركان الإيمان.

س : ما هي ثمار الإيمان بالقدر؟

ج : ١ ـ من آمن أن ا خاق الكون بأقدار معلومة محدودة انطلقـت طاقاتـه ومواهبـه للتعرف على الأقدار والسنن الإلهية النافعة لينتفع بها ، ويعمل بمقتضاها في البناء والتعمير واستخراج خيرات الأرض ، وكل ما أودع ا في الكون من منافع وخيرات.

٢ ـ ومن آمن بالقدر عرف أن كل شيء في الوجود إنما يسير وفق حكمة عليا، فإذا مسه الضر ، فإنه لا يجزع ، وإذا وافقه النجاح والتوفيق فإنه لا يبطر.

وبهذا يوجد الإنسان السوي المتزن.

الخلاصة

القدر هو ما قدر ا في الأشياء من مقادير محدودة . تجري وفق ما قضى ا به من نظام لسير الكون . من الأقدار ما هو نافع ، ومن الأقدار ما هو ضار وقد منحنا ا هدى وسمعاً

وبصراً وعقلاً نميز به بين القدر النافع فننتفع به . وبين القدر الضار فنتجنبه . ولكل قـدر حكمة عليا نؤمن بها لأن ا حكيم في أعماله وأقداره.

الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان. وهو باعث على النشاط والعمل للانتفاع بما أودع ا في خيرات في الأرض. وهو يوجد الإنسان السوي المتزن الذي لا يجزع عند الفشـل ، ولا يبطر عند النجاح والتوفيق .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد رب العالمين.

الهوامش:

----

[١] - الجزاء : أي المكافأة .

[٢] - السماء : كل ما ارتفع فوق رأسك فهو لك سماء .

[٣] - المشرحون : هم الذين يبحثون في أسرار تركيب الجسم الإنساني.

[٤] - من حديث رواه مسلم .

[٥] - هذا التحديد ذهب إليه بعض العلماء استناداً إلى بعض الآثار .